

مَجَلـة شَهـريَّـة اسُلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٠)	ربيع الأول والثانى ١٤٢٩ ھ
العدد الرابع	ابريل ٢٠٠٨ م

المشرف على المجلة: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى

مساعد المشرف: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صوت الأمة** بی ١ / ١٨ جی، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١١٠) روبية، ثمن النسخة (١٠) روبيات في الخارج (٣٦) دولار بالبريد الجوي، (١٥) دولار بالبريد العادي

☆ **تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣**

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
☆ الافتتاحية:	
١ – الاسلام هو الطريق الوحيد لتحقيق سعادة البشرية	
د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى	٣
☆ بحوث ودراسات:	
٢ – تاريخ التطرف والغلو الديني	
فضيلة الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل	٩
☆ دروس وعبر:	
٣ – إطالة العمر	
محمد بن إبراهيم النعيم	١٧
☆ تصحيح المفاهيم:	
٤ – التطير بشهر صفر	
مسعود عالم عبد القيوم السلفى	٢٥
☆ آداب إسلامية:	
٥ – آداب الجنازة	
الشيخ لطف الحق المرشد آبادى	٣٥
☆ شخصية إسلامية:	
٦ – من أعلام السلفيين فى الهند فضيلة الشيخ مختار أحمد ...	
الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد	٤٠
☆ بحوث ودراسات:	
٧ – المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر	
الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة	٤٥
☆ السيرة النبوية:	
٨ – صور من الخلق النبوي وأثرها في القلوب	
ظهير أحمد بشير	٥٢
☆ التوجيه الاجتماعى:	
٩ – أهمية الوقت	
فاروق عبد الله محمد أشرف الحق	٥٦
☆ ٩ – من أخبار الجامعة أسعد أعظمى	٥٩
☆ ١٠ – المجلة تهدف إلى	٦٠

الافتتاحية　　　　(٣)

الاسلام هو الطريق الوحيد لتحقيق سعادة البشرية

٥ – وخامسا: اصلاح القلب الذي هو منشأ جميع الأعمال الحسنة والسيئة، ومصدر الأعمال المرضية والرديئة، فدور القلب مهم في باب الأعمال، لأنه اذا صلح صدرت عنه الأعمال الصالحة، واذا فسد صدرت الأعمال السيئة.

وامتاز الاسلام بعنايته بالقلب، حتى اننا لا نجد في الأديان الأخرى عناية بالقلب كعنايته، انه بالغ في تصوير أهوال الآخرة وشدائدها لترقيق القلب، وفي تفصيل أحوال طبقات النار والجنة مما يؤدي الى اجتناب السيئات والمنكرات، ويرغب في الحسنات والخيرات.

يزخر القرآن والحديث ببيان جزاء الأعمال للناس يوم القيامة، ثوابا كان أو عقابا، ويوردان أحوال الانسان عند قبض روحه وما يواجهه من الهول والفزع عند ذلك، وحضور الملكين في القبر وسؤلهما المقبور عن أمور معينة، ثم ترتب الألم والراحة حسب الأعمال، وتصوير الكرب والشدائد التي يواجهها الانسان في عرصة القيامة حيث تنقطع العلائق الدنيوية عن الانسان فلا ينفعه مال ولا بنون، بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وأعماله وحدها معه، ان خيرا فخير، وان شرا فشر، ومروره بالصراط، وشهادة الجوارح ضد المجرمين، وتصوير ما فيه أهل النار من شدة العطش والجوع وأنواع الألم والخزي، ولا شك أن وصف مثل تلك المواقف يردع الانسان عن ارتكاب الأفعال القبيحة، ويحثه على الأعمال الصالحة، وبذلك يتحقق الصلاح والاتزان فى حياة الانسان فيصير لبنة صالحة في بناء المجتمع، ودافعا قويا من الدوافع الى الخير. وأسفار الأديان الأخرى تخلو من هذا النوع من التوجيه والاصلاح، ولذلك نرى أن الخوف من الحساب والسؤال في الآخرة

ينعدم فيها، فيصبح الانسان فريسة للفوضى والاباحية.

٦ – وسادسا: تيسّر بالشريعة الاسلامية نشر جميع أنواع الحسنات والبركات، واتمام سائر أقسام الكمال والجودة في العادات والعبادات بحيث لا يوجد تخصيص وتمييز، بل الجميع مطالب بالاقبال على الفضائل، وميسّر للعمل بأحكام هذه الشريعة، بخلاف سائر الأديان الأخرى، فانها خصصت بعض الأمم والطبقات بتحصيل أنواع الفضائل والمحاسن، وحرمت البعض الآخر، وهذا التمييز يوقع في الضغط والضيق، ويؤدى الى مفاسد كثيرة.

إن التوراة صرحت بهذا النوع من التخصيص لسبط واحد من الأسباط الاثني عشر، وكذلك منعت ذوي العاهات والأمراض من تقديم القرابين وتحصيل كثير من الحسنات حتى البرء التام. أما القرآن الكريم فقد أعلن باعجازه البليغ: (اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بعضكم من بعض).(آل عمران: ١٩٥)

وقال: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا). (النساء: ١٢٤)

وقال: (وما يفعلو من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين). (آل عمران: ١١٥)

فهذه الآيات صريحة في أن كل شخص يستطيع أن يأتي بأي عمل من الأعمال الصالحة، فلم تختص عبادة أو فضيلة بقوم أو فرقة، ولا بصناعة أو حرفة، وكذلك لم تمنع طائفة من اكتساب الفضائل، والمريض اذا اكتسب فضيلة لا يعتبر خاطئا في الاسلام، والعاصي اذا تاب، أو عفا عنه صاحب الحق لا يتعرض للعقاب. ان الدرجات العلى حسب الاخلاص والأعمال، فلاتأثير في بلوغها للضعف والقوة، أو كمال الجسم ونقصانه، قال تعالى: (وما لأحد عنده من نعمة تجزى، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى). (الليل: ٢١)

وقال: (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون).(البقرة: ٢٨١)

وقال: (ووجدا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا). (الكهف: ٤٩)

وهناك عبادات في الاسلام تجمع بين الغني والفقير، والشريف والوضيع في صف واحد، وتعرض صورة رائعة للمساواة الانسانية واحترام كل فرد من أفرادها، كما نرى في

الحج وأيام العيد والجمعة والصلوات الخمس وما الى ذلك من المناسبات الدينية التي يجتمع فيها المسلمون مع اخوانهم في الدين، ومثل هذا المشهد قلما نراه في ديانة أخرى.

وخلاصة القول أن تاريخ الملل والديانات يشهد أن أتباعها فرضوا نوعا من الاحتكار على العلوم والحكم، وأذنوا لشرائح معينة فقط بتحصيل الفضائل والأخلاق الكريمة، وأوصدوا أبواب الحسنات على الآخرين، حتى إن الأسفار الدينية قد حرمت قراء تها الا على أفراد معينين فقط.

وبالعكس من ذلك نرى أن الاسلام يعمم الفضائل، ويتيح الفرصة أمام كل واحد لكسب الخير وتحصيل المنزلة العليا. الفضيلة والرسالة المحمدية هي أكبر نعمة على البشرية، والاسلام يعلن بصراحة أنها لم تختص بمكان أو زمان، بل عمت الناس جميعا، يقول جل وعلا: (وما أرسلناك الا كافة للناس). (سبأ: ٢٨)

وهذا النداء دل الناس على طريق النجاة، وبسط لهم أسرار العلوم ونكات المعارف، وأطلعهم على دقائق التوحيد، وأمرهم بجميع ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن كل ما يضر ويفسد. وهذا من كمال الاسلام وسمو الشريعة، والواقع الذى عاشه الناس في التاريخ ويعيشونه في ظل الدولة الاسلامية الى الآن يدل على ما قلنا.

الاسلام والعالمية

العالمية في الاصطلاح الحديث مذهب يدعو الى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة. ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها: أن ذلك هو السبيل الى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لاحلال السلام في العالم محل الخلاف.

والدعوة باطلة من أساسها، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الأرض، وهي دفعُ الناسِ بعضهم ببعض، وضربُ الحق والباطل. والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتآن يعملان دون انقطاع، وكل ميسّر لما خلق له. (ص ١٩٣)

فالصراع والخلاف الذي تزعم العالمية أنها تعمل على محوه، وهو سر من أسرار

الحياة نفسها، وناموس من نواميس الله في خلقه، يجري على قَدَر، وينتهي الى غاية، ويسوقه تدبيرٌ من عليم حكيم. (ص ١٩٤)

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة الى العالمية، لوجدنا أنها على اختلاف صورها وشعبها – كما سنبينه من بعد – دعوةٌ هدامة مخربة من وجوه كثيرة (فصل المصنف فيها الكلام). (ص ٢٠١)

وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية، وكلها تحاول أن تصل الى النظام الواحد الذى يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهب واحد، أو هي بعبارة أخرى: تحاول أن تكتشف الأصول الانسانية المشتركة – حسب زعمهم – وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية، لتصبح الأرض وطنا واحدا يدين بدين واحد، ويتكلم لغة واحدة، ويتذوق الفنون والآداب بذوق واحد مشترك، وليست الدراسات الحديثة فى الدين المقارَن والأدب المقارن والقانون المقارن وعلم اللغة المقارن، أو ما يسمونه علم اللغة العام(General Linguistics) وأشباهها الا فروعا من هذا التصور، وأدوات لتحقيق هذه الغاية التى لاسبيل الى تحقيقها، لأنها تطمح الى أن تخرق سنن الله ونواميسه، أو لأنها تجهل هذه السنن والنواميس.

والدعوات المبنية على هذا التصور كلّها دعوات هدامة، لأنها تهز بعنف عوامل التجمع والتآلف التي تقوم عليها المجتمعات البشرية، ثم تعجز عن أن تقيم بدلا منها عواملَ أخرى للتجمع وأساليبَ أخرى للتعاون والتآلف، ينتظم بها العمران. فهي تشكلك الناس في وَلائهم الديني والوطني، وتُضعف ثقتهم في كل قوانينهم ومؤسساتهم، ثم تتركهم في الفوضى والقلق، وسط أنقاض ما هدّمت من عقائد، وما قطّعت من وشائج. (ص ٢٠٥)

الفرق بين "عالمية الاسلام" و "الاسلام والعالمية"

فهذه النظم (الغربية) قديمُها وحديثُها، لا تصح عندنا، ولا تجوز في أذواقنا وعقولنا الا اذا وافقت الاسلام، وفرق كبير بين أن يتحدث كاتب أو مفكر عن (عالمية الاسلام) أو

(اشتراكية الاسلام) أو (ديمقراطية الاسلام)، وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (الاسلام والاشتراكية) أو (الاسلام والديمقراطية). ففي الحالة الأولى يفترض الكاتب أو المفكر منذ البدء أن الاسلام عالمي، أو اشتراكي، أو ديمقراطي بكل ما تحمل الكلمة من معان مذهبية اصطلاحية. أما في الحالة الثانية فهو يتحدث عن الاسلام بوصفه دينا مستقلا ومذهبا فى الحياة ذا كيان قائم بذاته لا يقبل تبديلا أو تعديلا، لأنه وحي من عند الله، قد ثبتت أصوله وكملت، وتمّت بكمالها نعمة الله على المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام دينا، ثم هو على سبيل المقارنة والحكم على المذاهب الجديدة بالصحة أو الفساد يزن (العالمية) و (الاشتراكية) و (الديمقراطية) بموازين الاسلام.

واذا كانت العالمية هي ما ذكرنا في وصفها، وفي بيان صورها المختلفة وحقيقة أهدافها، فأي شيء منها يصح في الاسلام ؟ وما الذي يعنيه المتحدث عن الاسلام حين يصفه بأنه دين عالمي ؟

☆ الاسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الأرض جميعا تدعوهم الى الدخول فيه، والنصوص القرآنية صريحة في ذلك تؤكد عموم الرسالة الاسلامية، في مقابل قومية الرسالات الأخرى. منها على سبيل المثال قوله تعالى يخاطب رسوله ﷺ:

(وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) النساء ٧٩، والأنبياء: ١٠٧، وسبأ ٢٨، والأعراف: ١٥٨.

بينما وصفت الرسالات الأخرى بأنها موجهة لأقوام بأعيانهم هود ٩٦، آل عمران ٤٥، الصافات ١٣٩، نوح ١، الشعراء ١٢٣، ١٤١، ١٦٠، ١٧٦.

وعموم الرسالة وشمولها للناس كافة ظاهر في دعوة أهل الديانات السماوية السابقة للدخول في الاسلام الذي يؤكد ما بين أيديهم من الكتب ويصدقه، ويصحح ما انحرف به الناس عن وجهه فيها، وهو ما توضحه الآيات الآتية: آل عمران ٦٤، النساء ٤٧، ١٧١، المائدة ١٥، ١٦، ١٩، ٧٧، الأحزاب ٤٠، المائدة ٣، هي آخر ما أنزل على رسول الله ﷺ، أنزلت في حجة الوداع في عرفات في يوم جمعة (مسلم).

وقد كان ادراك رسول الله ﷺ لهذا الشمول والعموم واضحا في ارساله الكتب بعد صلح الحديبية الى كسرى فارس، والى قيصر الروم، والى نجاشي الحبشة، والى المقوقس حاكم مصر: يدعوهم الى الاسلام، ثم باعداده لغزو الروم فى مؤتة سنة ٨ ﻫ، ثم في تبوك سنة ٩ ﻫ.

فالاسلام عالمي بهذا المعنى الذي يتضمنه شمول رسالته وعمومها، وبتسويته بين المسلمين على اختلاف أجناسهم، وصهرهم في أمة واحدة لا يتفاضل الناس فيها بحسب أو نسب أو لون، وهو أصرح ما يكون في آية الحجرات ١٣.

ومن أجل أن الاسلام هو دين الناس كلهم أجمعين على اختلاف الأزمنة والأمكنة، كان دين يسر لا يشدد على الناس، ولا يكلفهم ما يشق عليهم، وذلك ليكون ملائما لهم على اختلاف طاقاتهم، وتباين ظروف حياتهم، في فراغ البداوة وبساطتها، وفي مشاغل المدنية وتعقيداتها. فالاسلام دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس جميعا، يقدر ضعف الانسان، فلا يؤاخذه على الخطأ والنسيان والاضطرار، ولا يكلفه من العبادة فوق ما يطيق، فالأرض لهم مسجد، أينما كانوا أقاموا الصلاة، لا يكلفون بأدائها في داخل دار خاصة بالعبادة، ويؤمهم في صلاة الجماعة من هو أهل للامامة التي لا تقتصر على طائفة بعينها من رجال الدين، ومن لم يجد ماء فليتيمم، ومن كان مسافرا، أبيح له أن يقصر صلاته، فيصلى الرباعية الركعتين، كما أبيح له أن يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير، وأبيح لهم في الحرب أن يصلوا الرباعية ركعة واحدة في صلاة الخوف، وعند التحام الصفوف أبيح لهم أن يؤدوها كيفما تيسرت، رجالا أو ركبانا، لا يشترط فيها ركوع ولا سجود ولا استقبال قبلة، ويحج فيؤدي شعائر الحج لا سلطان فيها لسادن أو كاهن، ويدعو الله فيما شاء في وقت الصلاة وفي غير وقت الصلاة، ويتوب اليه، ويستغفره من ذنوبه متجها اليه بقلبه وحده دون وسيط. والله سبحانه وتعالى يدعو عباده الذين أسرفوا في المعصية الى الوقوف بباب رحمته، الزمر ٥٣، البقرة ١٨٦. (ص ٢١٤ وبعدها)

(د. مقتدى حسن محمد ياسين)

☆☆☆

بحوث ودراسات

تاريخ التطرف والغلو الديني

فضيلة الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
المدرس بقسم العقيدة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض

الغلو قديم فى البشرية وجد قبل إرسال الله تعالى الرسل، وذلك بعد آدم عليه السلام بزمن إلى أن أرسل الله رسوله نوحا عليه السلام .

أولا : الغلو فى قوم نوح عليه السلام :

وذلك أن سبب بعثة نوح عليه السلام إلى قومه وجود الغلو فيهم بالصالحين، حيث كان الغلو سببا فى كفرهم وشركهم مع الله فى عبادته غيره، فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم فى رجال كانوا صالحين فغلوا فى محبتهم حتى عبدوهم من دون الله، ثم إنهم صوروا لهم أصناما تكون رمزا لعبادتهم حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول ﷺ . كما قال تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (نوح: ٢٣).

حيث أخرج البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما، قال فى هذه الآية : "صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعا فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطفان ......، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسرا فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت" اه (١) والأنصاب جمع نصب وهو الصنم ينصب للميت لتخليد ذكراه .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه – باب قوله تعالى : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (نوح: ٢٣) الآية .

هذه فى الحقيقة تمثل مظهرا جليا من الغلو، فى باب الغلو فى الأشخاص.

ثانيا: الغلو والتطرف لدى اليونان:

لماذا الوثنية اليونانية؟ بالذات لتاريخ التطرف والغلو بها قديما.

إن إيراد هذا السؤال مهم، فلماذا العناية ببيان وثنية هؤلاء القوم؟ إنه انقداح ذهن وتلمس من قوله تعالى فى سورة براءة: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (التوبة: ٣٠)

فذكر سبحانه فى هذه الآية مشابهة قول اليهود والنصارى فى دعواهم البنوه لله عز وجل من قبلهم من الكافرين الذين قالوا مقالات هى أصل لهذه المضاهاة.

قال ابن كثير – رحمه الله – على قوله: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ أى: يشابهون من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء. (١)

ونقل ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٢) عن الزجاج قوله "يضاهئون: يشابهون قول من تقدمهم من كفرتهم، فانما قالوه اتباعا لمتقدميهم.

ثم قال ابن الجوزى: وفى قوله: ﴿الذين كفروا﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس.

الثانى: أنهم اليهود، فالمعنى أن النصارى فى قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود فى قولهم: عزير ابن الله. قاله قتادة والسدى.

والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم فى أقوالهم تقليدا، قاله الزجاج وابن قتيبة. أ. هـ

ونحوه ما حكاه القرطبى والشوكانى فى تفسيرهما عند هذه الآية (٣) وقبلهما الحافظ

(١) انظر "تفسير ابن كثير" ٢ / ٣٤٨

(٢) انظر " زاد المسير" ٣ / ٢٨٩، و "معانى القرآن" لأبى جعفر النحاس ٣ / ٢٠٠ بنحو ما ذكره ابن الجوزى، وانظر: " التسهيل لعلوم التنزيل" لابن الجزرى ٢ / ٧٤.

وفى قوله تعالى: ﴿يضاهئون﴾ قراء تان: بالهمزة وهى لعاصم وحده، وبقية السبعة "يضاهون" بلا همز: وانظر: "السبعة" لابن مجاهد ١٣٤، و "القراءات العشر المتواترات" ١٩٢، "النشر" ١ / ٤٠٦، و "التيسير" ١١٨

(٣) "تفسير القرطبى" ٨ / ١١٨ – ١١٩، و "فتح القدير" ٢ / ٣٥٣

ابن جرير الطبرى على آية براء ة . وعلى كل فالأقوال الثلاثة ليست متعارضة، وليس الخلاف بينها اختلاف تضاد، بل هو من قبيل اختلاف التنوع، إذ المعنى يحتمل أحد الأقوال كما يحتملها جميعا.

ومما يدخل فى معنى الذين كفروا من قبل اليهود والنصارى: من سبقهم من الأمم، التى شابهت مقالة اليهود والنصارى فى دعوى البنوة لله مقالتهم .

وهذه المقالة – بتولد الآلهة وكون لها أبناء – عقيدة وثنية صريحة واضحة عند الأمة اليونانية القديمة !

فلذا دخل اليونانيون الوثنيون فى مفهوم الآية ومنطوقها من هذا الاعتبار فهم ممن كفر قبل. وهو أيضا مظهر جلى للغلو والتطرف الدينى الذى أورث العنف والتكفير والإرهاب لمن لم يوافقهم فى العقيدة الوثنية فى حق الله بالألوهية.

هذا فضلا عن تأثير الوثنية اليونانية على من بعدها من الأمم حيث ظهر تأثيرهم الوثنى على اليهود والنصارى وفرق المسلمين الضالة من الجهمية والمعتزلة والمتكلمين وقبلهم الفلاسفة ...، فضلا عن تأثيرهم على غيرهم من الأمم الوثنية المشركة من المجوس والهندوس والرومان ... إلخ .

فإذن فى تجلية الغلو والتطرف والانحراف الوثنى فى العقيدة اليونانية بيان للذين كفروا من قبل ومبلغ معرفتهم بربهم، المتمثل فى أدنى دركات الجهل، والعمى عن رب العالمين، وإن بلغوا مبلغا متقدما فى العمران المادى للدنيا بما خلفوه من تراث مادى بارز.

والموضوع أيضا من دلالة قوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ، وقوله ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾، وقوله ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاء تهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، وقوله: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾.

وقوله تعالى : ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ .

وقوله: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾.

وقوله تعالى فى آخر السورة : ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾.

ولا شك أن اليونانيين وغيرهم من متقدمى الغلاة والمتطرفين فى دينهم داخلون فى مطلوب التفكر والاعتبار والاتعاظ ومحاذرة طريقهم ومناهجهم فى الآيات. (١)

ثالثا : التطرف والغلو لدى أهل الكتاب

ثم وجد بعد ذلك نوع من الغلو عند بنى إسرائيل من يهود ونصارى كما سبق فى قوله تعالى فى سورتى النساء والمائدة: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم .... (النساء : ١٧١، المائدة: ٧٧) ، كما وجد الغلو فى التكفير عند كل من اليهود للنصارى والعكس، حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة دماء وأعراض كل منهما الآخر. (٢)

فاليهود تقر مبدأ القتال لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما سواهم أميون يجوز أن يفعلوا بهم ما شاء وا على مبدأهم الخبيث أنه شعب الله المختار وكما قص الله عنهم قولهم ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنة بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران : ٧٥) وخدم لهم مسخرون لأجلهم .

والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشريعة عيسى عليه السلام، كما ونقموا على

(١) ينظر بحث الفقير إلى الله : "الانحرافات الوثنية فى العقيدة اليونانية وآثارها" ط دار المسير بالرياض، ط، ١٤١٧هـ.

(٢) تفاصيل هذا فى مقال علمى فى مجلة الفيصل عدد ١٣٤ – شعبان ١٤٠٨ هـ تحت عنوان "التطرف الدينى عند بنى إسرائيل" لعبد الرحمن عبد المحسن – عزز أقواله بنقول من العهدين القديم والحديث ص ٨٧ – ٩١، وانظر بحث "الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى" د . محمد الشويعر فى مجلة البحوث عدد ١٤ عام ١٤٠٥هـ ص ٢٠٩ .

اليهود لأنهم صلبوا عيسى عليه السلام كما يظنون! .

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ...... ﴾ الآية (المائده:١٨) .

فأهل الكتاب، ولا سيما اليهود، عندهم مظاهر الغلو والتطرف واضحة جلية فى مناح شتى فى التغالى والكبر والعجب والتيه على الناس جميعا مسلمين ونصارى وغيرهم وأيضا فى عقيدتهم وتميزهم عن الناس بالدعاوى الباطلة من كونهم أبناء الله وأحباؤه، وزعمهم أنه شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم فيما يفعلون فى غيرهم من الظلم والبغى والاعتداء حرج وسبيل .

☆ وأعظم تطرفهم وغلوهم ما كان فى جناب الله عز وجل من وصفه بالنقائص، وإضافة العيوب إليه، ومما فضحهم الله به فى القرآن:

١ – قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء، كما فى آخر سورة آل عمران ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (١٨١) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٨٢) الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ (آل عمران: ١٨١ – ١٨٣).

٢ – ووصفهم الله بالبخل والطمع، كما فى سورة المائدة فى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾ (المائدة: ٦٤) .

٣ – وعيبهم الله بالتعب والإعياء فى خلق السموات والأرض فى ستة أيام، مما أكذبهم الله بقوله فى سورة ق ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق : ٣٨) .

٤ – ومن ذلك قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وفسادهم وإفسادهم فى الأرض وفى حكم الله، مما تواردت عليه آيات كثيرة فى القرآن من أولها قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وإذ

قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباء وا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (البقرة: ٦١).

(١) معنى الغلو

بالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية وضح أن الغلو هو: مجاوزة الحد وتعديه.

☆ قال الجوهرى فى الصحاح:

" غلا فى الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد" اهـ.

☆ وقال الفيروز آبادى فى القاموس:

" غلا غلاء فهو غال وغلى ضد الرخص ... وغلا فى الأمر غلوا جاوز حده" ا هـ .

☆ ووافقه الزبيدى فى تاج العروس.

☆ وقال ابن منظور فى اللسان .

"... أصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر فى كل شىء .... يقال: غاليت صداق المرأة أى أغليته. ومنه قول عمر رضى الله عنه: "ألا لا تغالوا فى صدقات النساء" وفى رواية : "لا تغالوا فى صداق النساء" . أى لا تبالغوا فى كثرة الصداق.

وغلا فى الدين والأمر يغلو غلوا، جاوز حده.

قال: قال بعضهم : غلوت فى الأمر غلوا وغلانية وغلانيا إذا جاوزت فى الحد وأفرطت فيه، ويقال للشيء إذا ارتفع : قد غلا.

قال ذو الرمة:

فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها" ا هـ .

☆ وقال الفيومى فى المصباح المنير:

" ... وغلا فى الدين غلوا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفى التنزيل: ﴿لا تغلوا فى دينكم﴾ (١) وغالى فى أمره مغالاة بالغ" (٢) ا هـ .

(١) هذا جزء من آية النساء: ١٧١ والمائدة: ٧٧.

(٢) كلهم فى مادة غلا

☆ وقال ابن فارس فى المعجم:

"غلوى: الغين واللام المعتل أصل صحيح فى الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلا وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل فى الأمر غلوا إذا جاوز حده" اهـ . وكذا نحوه فى المجمل (١) .

☆ فمما سبق يتبين أن الغلو فى سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعى أو الحد المعتاد ومنه قوله ﷺ فى حديث أبى ذر: "... أي الرقاب أفضل قال: "أغلاها ثمنا وأنفعها عند أهلها" (٢) متفق عليه .

وحديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلى منه دماغه كما يغلى المرجل" (٣) متفق عليه .

☆ فغلا الثمن : إذا ارتفع وزاد سعره .

☆ وغلت القدر: إذا زادت حرارتها وارتفعت.

☆ وغلا فى مشيه: إذا أسرع وزاد فيه .

☆ وتغالى اللحم: ارتفع وذهب، ومنه قول لبيد بن أبى ربيعة:

فــإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال خدامها

وعليه فحقيقة الغلو:

هو: الزيادة ومجاوزة الحد الشرعى الواجب.

قال تعالى: ﴿لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ (النساء: ١٧١)

وقال سبحانه فى آية المائدة: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ (المائددة: ٧٧).

وقال سبحانه فى آيات عديدة جاء ت فى النهى عن الطغيان وهو غلو فى الغى كما قال

(١) فى المجمل مادة غلا والمعجم مادة غلوى .

(٢) رواه البخارى فى كتاب العتق – باب أى الرقاب أفضل ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان – باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم ٨٤ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار ، ومسلم فى كتاب الإيمان – باب أهون أهل النار عذابا رقم ٢١٣

تعالى فى آخر سورة طه لبنى إسرائيل : ﴿ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى﴾ (طه : ٨١) ، وقوله عن فرعون وملئه فى غير ما آية: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (النازعات: ١٧) وقال عن الخاسر صاحب الجحيم ﴿فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا﴾ (النازعات: ٣٧، ٣٨) الآية ، وقال فى آخر سورة هود: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (هود : ١١٢) .

☆ ومما ورد فى السنة أيضا: ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به ..." (١)

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: "القط لى حصى" ، فلقطت له سبع حصيات هن حصى القذف، فجعل ينفضهن فى كفه ويقول:

"أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يأيها الناس إياكم والغلو فى الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين" . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم(٢).

فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة، وأن الغلو هو : "الإفراط فى مجاوزة المقدار المعتبر شرعا فى أمر من أمور الدين" .

☆☆ (يتبع)

(١) "الفتح الربانى" ١٨ / ٢٨

(٢) رواه أحمد فى المسند كما فى "الفتح الربانى" ١٢ / ١٦٩، كتاب الحج والعمرة - باب سبب مشروعية رمى الجمار وحكمها، ورواه النسائى - كتاب المناسك - باب قدر حصى القذف، وكذا ابن ماجه فى باب التقاط الحصى.

ورواه الحاكم فى "مستدركه" ١ / ٤٦٦ ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخصيه عليه .

وقال النووى فى "المجموع" ٨ / ١٢٧: صحيح رواه البيهقى بإسناد حسن صحيح وهو على شرط مسلم رواية عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل .

و رواه النسائى وابن ماجه بإسنادين صحيحين، إسناد النسائى على شرط مسلم ... اهـ .

وقال شيخ الإسلام فى "الوصية الكبرى": هو حديث صحيح . ونقل عنه الشيخ صالح البليهى رحمه الله "السلسبيل فى معرفة الدليل ١ / ٣٦٧" أنه قال: على شرط مسلم ، ولم أقف عليه !

وذكره ابن حجر فى "التلخيص الحبير" ٧ / ٣٨٧ حيث حقق من كان رديف النبى ﷺ والتقط له الحصى: عبد الله أم الفضل، وصوب أنه الفضل - وهو تحقيق نفيس، وكذا كلام النووى السابق، وفى فتح البارى ١٣ / ٢٩١ : ......

وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبى العالية عن ابن عباس.

دروس وعبر

إطـالـة العمــر

محمد بن إبراهيم النعيم

لماذا تريد أن تعيش ؟

إن الهدف من هذه الحياة ليس الأكل والشرب، لأننا حين نعيش لهذا الهدف نشترك مع البهائم والكفار، فإن همّهم فى الحياة الأكل والمتاع كما وصفهم الله تعالى ذاما حالهم، فقال جل وعلا: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ (١). وإنما الهدف من وجودنا وتسخير ما على هذه الأرض لنا، هو عبادة الرحمن وعصيان الهوى والشيطان. وبمصطلح تجاري هو أن نجمع أكبر قدر ممكن من الحسنات قبل حلول الأجل، وأن نحرص كل الحرص على استثمار أوقاتنا المحدودة بالعمل الصالح الذى يرفع من درجاتنا فى الجنة. ومما ينبغى التنبه له أن الساعة التي تمر من حياتنا ولا نحسن استغلالها ستكون علينا حسرة وندامة يوم القيامة. وساعتها سيقول كل مقصر يا ليتنى قدمت لحياتى إلا أن يتفضل الله جل وعلا ويتكرم، وهو أهل للكرم.

ونحن نختلف عن اليهود فإنهم يتمنّون أن تكون حياتهم ليس فيها موت رغبة فى ملاذّ الدنيا، إذ يتمنى أحدهم لو يُعمّر ألف سنة، قال تبارك وتعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ (٢). وأما المسلم فيحرص على حياته ليس لذاتها، وإنما لكسب أكبر قدر ممكن من الحسنات. فإذا رأى المسلم أن حياته يزداد فيها حسنات وقربا من الله، دعا الله أن يطيل عمره وأن يحسن عمله، يشهد لهذا حديث أبى بكرة رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال من طال عمره وحسن عمله. قال فأي الناس

(١) سورة محمد آية (١٢) . (٢) سورة البقرة آية (٩٦) .

شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله". (١)

وإذا رأى أن بقاء ه في الحياة سيعرضه إلى فتن وزيادة سيئات، دعا الله أن يقبضه إليه غير فاتن ولا مفتون، لحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان مما يقوله من الدعاء أنه كان يدعو فيقول: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي، وترحمنى، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك، وقال رسول الله ﷺ إنها حق فادرسوها (أي احفظوها) وتعلموها". (٢)

وهذا لا يعارض ما رواه سعد بن عبيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسنا فلعله يزداد، وإما مسيئا فلعله يستعتب" (٣) لأن الرسول ﷺ أباح تمني الموت عند حصول ضرر يفتن فى الدين، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا للموت فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لي" (٤). إذا هدفنا في هذه الحياة ليس أن نعيش كما يعيش الكفار وإنما هو أسمى من ذلك، وهو أن نحقق عبادة الله جل وعلا وأن نجمع أكبر قدر ممكن من الحسنات قبل الممات.

المشكلة الكبرى:

إن أكبر مشكلة تواجه كل مسلم بل كل إنسان على هذا الوجود هى: أن حياته

---

(١) رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني – كتاب الجنائز: باب فضل طول العمر مع حسن العمل (٧/٥٠)، والترمذى واللفظ له فى أبواب الزهد: باب ما جاء فى طول العمر للمؤمن وقال: هذا حديث حسن صحيح (٩/٢٠٢)، ورواه الطبرانى والحاكم وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٠٣٩) ووافقه المناوي فى فيض القدير (٣/٤٨٠)، والألباني فى صحيح الجامع رقم (٣٢٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد واللفظ له – الفتح الربانى – كتاب الترغيب فى صالح الأعمال: باب الترغيب فى خصال مجتمعه (١٩/٣٠)، ورواه الترمذي: كتاب التفسير: باب تفسير سورة ص وقال حديث حسن صحيح (١٢/١١٦)، والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٩).

(٣) رواه البخارى: كتاب التمني: باب ما يكره من التمني (١٣/٢٣٣).

(٤) رواه البخاري: فى كتاب المرض باب تمني المريض الموت(١٠/١٣٢) وكتاب الدعوات باب الدعاء بالموت والحياة (١١/١٥٤)، ومسلم: فى الذكر والدعاء باب كراهة تمني الموت (١٧/٧) والترمذى: باب فى النهى عن تمنى الموت (٤/١٩٥)، وأبوداود فى الجنائز باب كراهية تمني الموت (٨/٣٧٣)، والنسائى فى الجنائز باب كراهية تمنى الموت (٤/٣/ح١٨٢٠).

محدودة، ومعدودة بسنوات وأيام بل وثوان لا يستطيع أن يزيد فيها لحظة واحدة. فمهما بلغ المسلم من حرص وجهد لكسب الحسنات فلا يزال العمر قصيرا موازنة بأعمار الأمم السابقة، لحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين، وأقلهم من يجوز ذلك" (١). فإن متوسط الزمن الإنتاجى للإنسان قد لا يتجاوز عشرين سنة من عمره الكلي. فلو كان عمر الفرد منا ستين سنة فإن ثلثها سيكون نوما – على افتراض أن الإنسان ينام ثماني ساعات يوميا أي ثلث يومه – وخمس عشرة سنة تكون فترة طفولة ومراهقة ومشاغبة غالبا، وهى قبل سن التكليف، فيبقى حوالي خمس وعشرين سنة قد يمضي منها على الأقل سنتان تقريبا في تناول وجبات الطعام الثلاث وقضاء الحاجة ونحو ذلك من الأمور الملحة – على افتراض مضي ساعتين منها يوميا – فيبقى حوالي ثلث عمره تقريبا، ثلاثة وعشرون سنة، وهو ما ينبغي عليه أن يستغله في إنتاج أكبر قدر ممكن من الحسنات. وذلك الثلث يزيد المرء حسرة على قصر عمره الإنتاجى. ومن هنا تبدأ المشكلة، وتبرز ضرورة الأخذ بأسباب إطالة العمر.

مفهوم إطالة العمر:

جاء ذكر إطالة العمر فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب أن يبسط له فى رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه" (٢) وقد اختلفت توجيهات العلماء – رحمهم الله – لمعنى الإطالة الواردة فى هذا الحديث، ولعل من أبرز من نقل أقوالهم: الإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، رحمهم الله تعالى.(٣) وإني أنقل ما ذكروه نصا:

(١) رواه الترمذى فى أبواب الدعاء (١٣/٦٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب، من حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد روى عن أبى هريرة من غير هذا الوجه أهـ، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (١١٩٩)، ووافقه المناوي فى فيض القدير (٢/١١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٠٧٣).

(٢) رواه البخارى واللفظ له فى الأدب باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم (١٠/٤٢٩)، ومسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٦/١١٤).

(٣) وممن تكلم أيضا فى الموضوع ابن قتيبة الدينورى فى كتابه تأويل مختلف الحديث، ومرعي الكرمي الحنبلى فى كتاب ارشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، والإمام الشوكاني فى كتاب تنبيه الأفاضل على ما ورد فى زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، والسيوطى في كتاب إفادة الخبر بنصه فى زيادة العمر ونقصه، والبنا فى الفتح=

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى "والأثر: الأجل، لأنه تابع للحياة في أثرها، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (١) وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها: أن هذه الزيادة بالبركة فى عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانتها، عن الضياع فى غير ذلك، والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يَصِلَ رَحِمَه، فإن وصلها زيد له أربعون. وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ (٢) فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هى مستحيلة، وبالنسبة الى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث، والثالث: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت. حكاه القاضى وهو ضعيف أو باطل والله أعلم أهـ." (٣).

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما قوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره ......﴾ (٤) فقد قيل أن المراد الجنس أي ما يعمر من عمر إنسان ولا ينقص من عمر إنسان، ثم التعمير والتقصير يراد به شيئان. أحدهما: أن هذا يطول عمره وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصا له بالنسبة الى غيره، كما أن التعمير زيادة بالنسبة الى آخر.

وقد يراد بالنقص: النقص من العمر المكتوب كما يراد بالزيادة الزيادة فى العمر المكتوب. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: "من سره أن يبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه". وقد قال بعض الناس: أن المراد به البركة فى العمر، بأن يعمل فى الزمن القصير ما لا يعمله غيره الا فى الكثير. قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان. فيقال لهؤلاء تلك البركة – وهى الزيادة فى العمل والنفع – هى أيضا مقدرة مكتوبة وتتناول

=الرباني (١٤/٢٦٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/٢١٩) باب فى صلة الرحم، والمراغي فى تفسيره عند قوله تعالى على لسان نوح (عليه السلام) ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ (سورة نوح آية ٤)، وشرح العقيدة الطحاوية عند قول المصنف (وضرب لهم آجالا).

(١) سورة الأعراف آية (٣٤) (٢) سورة الرعد آية (٣٩).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٦/١١٤).

(٤) سورة فاطر آية (١١).

لجميع الأشياء. والجواب المحقق: أن الله يكتب للعبد أجلا فى صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد فى ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب. ونظير هذا ما فى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ "أن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته فأراه إياهم. فرأى فيهم رجلا له بصيص، فقال: من هذا يا رب؟ فقال: ابنك داود. قال: فكم عمره؟ قال: أربعون سنة. قال: وكم عمري؟ قال ألف سنة. قال، فقد وهبت له من عمري ستين سنة. فكتب عليه كتاب وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال: قد بقي من عمري ستون سنة. قالوا: وهبتها لابنك داود. فأنكر ذلك، فأخرجوا الكتاب. قال النبى ﷺ: فنسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته" (١) وروي أنه كُمِّل لآدم عمره ولداود عمره. فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين (٢)، وهذا معنى ما روي عن عُمر أنه قال: "اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت". والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك. والملائكة لا علم لهم الا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها فلهذا قال العلماء أن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به فلا محو فيه ولا إثبات ...... أ هـ (٣). وقال فى موضع آخر "والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: "من سرّه أن يبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه"، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: "إن وصل رحمه زدته كذا وكذا" والملك لا يعلم أ يزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر" أهـ (٤).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى "قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى:

---

(١) رواه الترمذى فى تفسير سورة الأعراف بلفظ "لما خلق الله آدم ......" وقال هذا حديث حسن صحيح وقد رُوي من غير وجه عن أبى هريرة (١١/١٩٦)، ورواه الحاكم وصححه (٢/٣٢٥) ووافقه الذهبي أهـ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٢٠٩).

(٢) لعل الصواب: "مائة" بدل "ستين"، لأن آدم عليه السلام حين وهب داود ستين سنة من عمره يكون عمر داود حينئذ مائة سنة وليس ستين.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/٤٩٠).

(٤) المصدر السابق (٨/٥١٧) وله كلام جميل مماثل فى (٨/٥٤٠).

﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (١) والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق الى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت. ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح.

ثانيها: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، أما الأول الذى دلت عليه الآية، فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (٢) فالمحو والاثبات بالنسبة لما فى علم الملك، وما فى أم الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له القضاء المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق. والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور. وقال الطيبى الوجه الأول أظهر ...... الخ أ هـ (٣).

---

(١) سورة الأعراف آية (٣٤).

● قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: فإن قلت: فعلام يحمل ما تقدم من الآيات القاضية بأن الأجل (لا) يتقدم ولا يتأخر، ومن ذلك قوله عزوجل ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة النحل ٦١). قلت: قد أجاب عن ذلك بعض السلف وتبعه الخلف، بأن هذه الآية مختصة بالأجل إذا حضر، فإنه لا يتقدم ولا يتأخر عند حضوره. ويؤيد هذا: أنها مقيدة بذلك، فإنه قال: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾. ومثل هذا التقييد المذكور فى هذه الآية: قوله عز وجل: ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾ (سورة المنافقون ١١) وقوله سبحانه ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾ (سورة نوح ٤) فقد أمكن الجمع: بحمل هذه الآيات على هذا المعنى، فإذا حضر الأجل لم يتقدم ولم يتأخر. وفى غير هذه الحالة يجوز أن يؤخره الله بالدعاء أو بصلة الرحم أو بفعل الخير. ويجوز أن يقدم لمن عمل شرا أو قطع ما أمر الله به أن يوصل وانتهك محارم الله سبحانه أ هـ [تنبيه الأفاضل على ما ورد فى زيادة العمر ونقصانه من الدلائل (صفحة ٢٧)].

(٢) سورة الرعد آية (٣٩).

(٣) فتح البارى كتاب الأدب باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم (١٠/٤٢٩)

ومن كتب فى هذا الموضوع من المعاصرين العالم الفاضل ناصر الدين الألبانى والشيخ محمد العثيمين وانى أنقل ما قالاه نصا:

قال العلامة ناصر الدين الألبانى فى تعليقه على قوله ﷺ: "من أحب أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه" قال: فالحديث على ظاهره، أى أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سببا شرعيا لطول العمر وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما فى بعض الأحاديث الصحيحة، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به، لأن هذا بالنظر للخاتمة، تماما كالسعادة والشقاوة، فهما مقطوعتان بالنسبة للأفراد فشقي أو سعيد، فمن المقطوع به أن السعادة والشقاوة منوطتان بالأسباب شرعا كما قال ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة". ثم قرأ ﷺ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾، فكما أن الايمان يزيد وينقص، وزيادته الطاعة ونقصانه المعصية، وأن ذلك لا ينافى ما كتب فى اللوح المحفوظ فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر الى الأسباب فهو لا ينافى ما كتب فى اللوح المحفوظ أيضا، فتأمل هذا فإنه مهم جدا فى حل مشاكل كثيرة، ولهذا جاء فى الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة الدعاء بطول العمر" أ هـ (١).

وأما الشيخ محمد العثيمين فقد قال: "ليس معنى ذلك أن الانسان يكون له عمران: عمر إذا وصل رحمه وعمر إذا لم يصل، بل العمر واحد، والمقدر واحد، والانسان الذى قدّر الله له أن يصل رحمه سوف يصل رحمه، والذى قدّر الله أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ولا بُدّ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير، كما تقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج، فالزواج مكتوب والولد مكتوب، فإذا كان الله قد أراد أن يحصل لك ولد أراد لك أن تتزوج، ومع هذا فإن الزواج والولد كلاهما مكتوب، كذلك هذا الرزق مكتوب من الأصل، ومكتوب أنك ستصل رحمك، لكنك أنت لا تعلم عن هذا فحثك النبى ﷺ عليه وبيّن لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يبسط لك فى الرزق، وينسأ لك فى الأثر، والا

(١) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تأليف: ناصر الدين الألبانى (صفحة ٥٠).

فكل شئ مكتوب، لكن لما كانت صلة الرحم أمرا ينبغي للانسان أن يقوم به، حث النبى عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن الانسان إذا أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه، والا فإن الواصل قد كتبت صلته وكتب أن يكون عمره الى حيث أراد الله عز وجل، ثم اعلم أن امتداد الأجل وبسط الرزق أمر نسبي، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه ويبسط له فى رزقه بعض الشيء ولكن عمره يكون قصيرا وهذا مشاهد، فنقول هذا الذى كان عمره قصيرا مع كونه واصلا للرحم لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر، ولكن الله قد كتبت فى الأزل أن هذا الرجل سيصل رحمه وسيكون منتهى عمره فى الوقت الفلاني" أ هـ (١).

وبالنظر فى هذه النقول يتبين أن للعلماء فى تفسير معنى الإطالة فى العمر ثلاثة أقوال:

القول الأول: البركة.

القول الثانى: الإطالة الحقيقية.

القول الثالث: الذكر الجميل بعد الموت.

والمعنى الثالث لم أر أحدا ذكره وأفرده بقول مستقل الا الامام النووى رحمه الله فيما نقله عن القاضى عياض وقد ضعفه النووى جدا، والامام ابن حجر فيما نقله عن ابن التين وقد رجحه معه الطيبى، ولكن لا مانع أن يكون إطالة العمر شاملا للأنواع الثلاثة وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أما المعنى الأول والثانى فالذى يظهر أنهما غير مدفوعين، ولعل الأرجح أن كلا المعنيين مراد فى الحديث، وإن كانت أحاديث مضاعفة الأعمال تميل بنا الى المعنى الأول، وهو ما يقصد بحثنا هذا بيانه وتسليط الأضواء عليه، واستحثاث الهمم لتحصيله لغفلة بعض الناس عنه. وأما على القول الثانى الذى ارتضاه جمهور العلماء، فلا يندرج تحته سوى الأعمال التى وردت فى الأحاديث.

(يتبع)

☆☆☆

(١) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٢٠١)

تصحيح المفاهيم

التطير بشهر صفر

(٢ – ٢)

مسعود عالم عبد القيوم السلفى

أما رواية ابن عمر التى أخرجها البخارى أن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة والشؤم فى ثلاث فى المرأة والدار والدابة" (١) وقد وقع فى رواية سهل بن سعد الساعدى عند البخارى فى الجهاد بلفظ "ذكروا الشؤم فقال: إن كان فى شىء ففى" (٢) ولمسلم "ان يكن من الشؤم شئ حق" (٣) وفى رواية عتبة بن مسلم "إن كان الشؤم فى شئ" (٤). هذه الرواية الثلاثة الأخيرة تقتضى عدم الجزم بذلك بخلاف رواية ابن عمر، قال ابن العربى: "معناه إن كان خلق الله الشؤم فى شئ مما جرى من بعض العادة فانما يخلقه فى هذه الأشياء" (٥)، قال المازرى: مجمل هذه الرواية إن يكن الشؤم حقا فهذه الثلاث أحق به، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما وقع بغيرها. وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبى ﷺ وقالت إنما قال: "كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة فى المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (الحديد: ٢٢) (٦)

وقال معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول: "شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه، وشؤم الدار جار السوء" (٧)، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: "لا شؤم، وقد يكون اليمن فى الدار والمرأة والفرس" (٨)، فظهر أن هذا الشؤم يختص

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١٠ / ٢٦١، كتاب الطب، حديث رقم: ٥٧٥٣.

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٧٥، كتاب الجهاد، حديث رقم: ٢٨٥٩.

(٣) صحيح مسلم مع النووى ٨ / ٤٥٦، كتاب الطب.

(٤) صحيح مسلم مع النووى ٨ / ٤٥٧، كتاب الطب. (٥) فتح البارى ٦ / ٧٦.

(٦) مسند الامام أحمد ٦ / ٢٤٦، مستدرك الحاكم ٢ / ٤٧٩، وقال: حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٧) مصنف عبد الرزاق ١٠ / ٤١١، رقم ١٩٥٢٧.

(٨) سنن الترمذى ٤ / ٢٠٩، أبواب الاستئذان والآداب، حديث رقم: ٢٩٨٠.

ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض كما جاء فى الحديث الذى أخرجه أحمد "من سعادة المرء المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الهنى، ومن شقاوة المرء المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء. (١)

وقال الحافظ ابن حجر: وقد أشار الامام البخارى بإيراد حديث سهل (وهو 'إن كان الشؤم فى شىء ففى المرأة والفرس والدار – صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٧٥) بعد حديث ابن عمر (وهو "انما الشؤم فى ثلاثة" – صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٧٥ الذى نحن بصدده) إلى أن الحصر الذى فى حديث ابن عمر ليس على ظاهره، وأشار بترجمة الباب الذى بعد (باب ما يذكر من شؤم الفرس) وهى "الخيل لثلاثة" إلى أن الشؤم مخصوص ببعض الخيل دون بعض (كذلك سائر الأجناس المذكورة فى الحديث) وكل ذلك من لطيف نظره ودقيق فكره. (٢) فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال فى مرج أو روضة، فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت أرواثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له، فأما الرجل الذى هى عليه وزر فهو رجل ربطها فخرا ورئاء ونواء لأهل الاسلام فهى وزر على ذلك. (٣)

وقال الخطابى: هو استثناء من غير الجنس، ومعناه ابطال مذهب الجاهلية فى التطير، فكأنه قال: إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره سيره فليفارقه، وقيل: إن شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، وشؤم المرأة أن لا تلد، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليه. (٤) فاتضح بهذا أن المراد بذلك جسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شىء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع فى اعتقاد ما نهى عن اعتقاده. ويدل على ذلك حديث أنس رضى الله عنه "الطيرة على من تطير" (٥)

(١) مسند أحمد. (٢) فتح البارى ٦ / ٧٥.

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٧٩، كتاب الجهاد، حديث رقم: ٢٨٦٠.

(٤) فتح البارى ٦ / ٧٨.

(٥) صحيح ابن حبان (موارد الظمآن ص ٣٤٥ – ٣٤٦، حديث رقم: ١٤٢٨)

وقال ابن القيم: "فاخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون فى هذه الثلاثة، ليس فيه اثبات الطيرة التى نفاها، وانما غايته أن الله تعالى قد يخلق منها أعيانا مشئومة على من قاربها وسكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدا مباركا، يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدا مشئوما نذلا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة، ويقضى سعادة من قارنها، وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوسا يتنحس بها من قارنها، وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب، وربطها بمسبباتها المتضادة المختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة، ولذذ بها من قارنها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سببا لايذاء من قارنها من الناس، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك فى الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر". (١)

ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها، وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ به من شرها وشر ما جبلت عليه، كما ورد ذلك عن النبى ﷺ. (٢)

والطيرة بأى شىء كانت سواء بصفر، أو بالمخلوقات هي علامة الجهل، ونقص التوحيد وضعف الايمان، وباب من أبواب الشرك والقاء الشيطان فى الضلالة وتخويفه ووسوسته، وهذا يعظم شأنه على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها فتكون إليه أسرع من السيل الى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه فيفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة فى اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكر عليه عيشه، فاذا سمع كلمة سفرجل أو أهدى إليه تطير به، وقال: سفر وجلاء، واذا رأى ياسمينا أو أهدى إليه أو سمع اسمه تطير وقال: يأس ومين، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاء م بيومه، وعلى هذا فان المتطير متعب القلب، منكدر الصدر، كاسف البال، سىء الخلق، يتخوف من كل ما يراه ويسمعه فيصير أشد الناس وجلا وأنكدهم

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٥٧.

(٢) سنن أبى داود ٢ / ٦١٦ – ٦١٧، كتاب النكاح، حديث رقم: ٢١٦٠.

عيشا وأضيقهم صدرا وأحزنهم قلبا، وقد شفى النبى ﷺ أمته فى الطيرة حيث سئل عنها فقال: ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه" انتهى ما قاله ابن القيم فى مفتاح دار السعادة. (١)

ومع ذلك لا زال كثير من الناس يتشاء مون بشهر صفر، والسفر فيه وهو غير صحيح لأن الأزمان كلها خلق الله تعالى وفيها تقع أفعال بنى آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه، فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله، واقتراف الذنوب، فانها تسخط الله عزوجل، فاذا سخط على عبده، شقى هذا العبد فى الدنيا والآخرة كما أنه اذا رضى عن عبده سعد العبد فى الدنيا والآخرة، فالعاصى مشؤم على نفسه وعلى غيره، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس، خصوصا من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين، يقول تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الانفال: ٢٥)

وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن الأيام والليالى مثل أن يقول: السفر يكره يوم الأربعاء أو الخميس أو السبت، أو يكره التفصيل أو الخياطة أوالغزل فى هذه الأيام أو يكره الجماع فى ليلة من الليالى ويخاف على الولد.

فأجاب: الحمد لله، هذا كله باطل لا أصل له، بل الرجل اذا استخار الله تعالى وفعل شيئا مباحا فليفعله فى أي وقت تيسر، لا يكره التفصيل ولا الخياطة ولا الغزل ولا نحو ذلك من الأفعال فى يوم من الأيام، ولا يكره الجماع فى ليلة من الليالى ولا يوم من الأيام.

والنبى ﷺ قد نهى عن التطير كما ثبت فى الصحيح عن معاوية بن الحكم السلمى قال: قلت يا رسول الله ! إن منا قوما يأتون الكهان، قال: فلا تأتوهم، قلت منا قوما يتطيرون، قال: ذلك شئ يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم". (٢) فإذا كان قد نهى عن أن تصده الطيرة عما عزم عليه، فكيف بالأيام والليالى؟ ولكن يستحب السفر يوم الخميس ويوم السبت ويوم الاثنين، من غير نهي عن سائر الأيام، الا يوم الجمعة إذا كانت الجمعة تفوته بالسفر ففيه نزاع بين العلماء. وأما الصناعات والجماع فلا يكره فى شيء من الأيام، والله أعلم. (٣)

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٠ — ٢٣٤.
(٢) صحيح ابن حبان (موارد الظمآن ص ٣٤٥ — ٣٤٦)
(٣) مجموع الفتاوى للامام ابن تيمية ٢٨ / ٢٩ — ٣٠.

وسئل رحمه الله عن القيام للمصحف وتقبليه، وهل يكره أيضا أن يفتح فيه الفال ؟

فأجاب رحمه الله عن الجزء الثانى ما ملخصه ...... "وأما استفتاح الفال فى المصحف فلم ينقل عن السلف فيه شىء وقد تنازع فيه المتأخرون، وذكر القاضى أبو يعلى فيه نزاعا، وذكر عن ابن بطة أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه، فإن هذا ليس الفال الذى يحبه رسول الله ﷺ فإنه كان يحب الفال ويكره الطيرة، والفال الذى يحبه هو أن يفعل أمرا أو يعزم عليه متوكلا على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، مثل أن يسمع يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك. كما لقى فى سفر الهجرة رجلا فقال: ما اسمك؟ قال: يزيد، قال يا أبابكر ! يزيد أمرنا.

وأما الطيرة بأن يكون قد فعل أمرا متوكلا على الله أو يعزم عليه، فيسمع كلمة مكروهة، مثل ما يتم أو ما يفلح، ونحو ذلك فيتطير ويترك الأمر، فهذا منهى عنه، كما فى الصحيح عن معاوية بن الحكم السلمى قال: قلت يا رسول الله منا قوما يتطيرون، قال: ذلك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم. (١) فنهى النبى ﷺ أن تصد الطيرة العبد عما أراد، فهو فى كل واحد من محبته للفال وكراهته للطيرة، انما يسلك مسلك الاستخارة لله، والتوكل عليه، والعمل بما شرع له من الأسباب، لم يجعل الفال آمرا له، وباعثا له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل وانما يأتمر وينتهى عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام، وقد حرم الله الاستقسام بالأزلام فى موضعين من كتابه، وكانوا اذا أرادوا أمرا من الأمور أحالوا به قداحا مثل السهام أو الحصى أو غير ذلك وقد علموا على هذا علامة الخير، وعلى هذا علامة الشر، وآخر غفل، فاذا خرج هذا فعلوا، واذا خرج هذا تركوا، واذا خرج الغفل أعادوا الاستقسام.

فهذه الأنواع التى تدخل فى ذلك: مثل الضرب بالحصى والشعير واللوح والخشب والورق المكتوب عليه حروف أبجد أو أبيات من الشعر أو نحو ذلك مما يطلب به الخيرة مما يفعله الرجل ويتركه، منهى عنها لأنها من باب الاستقسام بالأزلام، وانما يسن له استخارة الخالق، واستشارة المخلوق، والاستدلال بالأدلة الشرعية التى تبين ما يحبه الله ويرضاه

(١) صحيح ابن حبان (موارد الظمآن ص ٣٤٥ – ٣٥٦)

وما يكره وينهى عنه". (١)

وقد تعتقد طبقة من المسلمين أن النبى ﷺ برء من مرضه ولبس ثوب الصحة والعافية فى يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر واغتسل فيه بعد عودة الصحة فيظهرون غاية الحب مع النبى ﷺ فلا يقيمون فى هذا الشهر مناسبة ولا فرحا، فإذا جاء فى نهاية الشهر يحتفلون فى الأربعاء الأخير احتفالا كبيرا، ويقيمون الولائم والأطعمة المخصوصة والحلوى، خارج القرى، والمدن ويمشون على الأعشاب للشفاء من الأمراض.

ولا شك أنه من الجهل الموقع فى الشرك – والعياذ بالله – ومن البدع الشركية، ويتوقف بالدرجة الأولى على سلامة العقيدة، ويعلم كل من له أدنى المام بالتاريخ أنه كذب صريح لا أصل له فى حياة النبى ﷺ، والتاريخ خير شاهد لنا أن النبى ﷺ لم يبرأ من مرضه يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر، بل المؤرخون كلهم اتفقوا على أن مرض النبى ﷺ الذى مات فيه بدأ فى ليالى بقين من شهر صفر أو فى أول شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ، ومن المناسب أن تذكر آراء المؤرخين فى مرضه ﷺ لتوضيح الحقيقة.

قال الحافظ ابن كثير: "ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته فى ليالى بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الأول. (٢)

وقال ابن الأثير: "بدأ رسول الله ﷺ مرضه الذى مات منه يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة فى بيت ميمونة، ثم انتقل حين اشتد مرضه الى بيت عائشة وقبض يوم الاثنين ضحى فى الوقت الذى دخل فيه المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول. (٣)

وقال ابن الأثير فى تاريخه الكامل: "ابتدأ برسول الله مرضه فى أواخر صفر. (٤)

وقال ابن اسحاق فى سيرته: "ابتدأ شكوى رسول الله ﷺ الذى قبضه الله فيه الى ما أراده الله من رحمته وكرامته فى ليالى بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الأول". (٥)

---

(١) مجموع الفتاوى للامام ابن تيمية ٢٣ / ٦٥. (٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٢٤.
(٣) أسد الغابة ١ / ٤١. (٤) تاريخ الكامل ٢ / ٢١٥.
(٥) سيرة ابن هشام ٥ / ٢٢٥.

وقال ابن خلدون: "بدأه الوجع ليلتين بقيتا من صفر وتحادى به وجعه". (١)

وقال الامام الطبرى: "بدئ برسول الله ﷺ وجعه ليلتين بقيتا من صفر". (٢)

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح ترجمة الامام البخارى: "باب مرض النبى ﷺ ووفاته" أنه اشتكى يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر فاشتكى ثلاث عشرة ليلة ومات يوم الاثنين لاثنتى عشرة مضت من ربيع الأول. (٣)

وقال الشيخ صفى الرحمن المباركفورى فى كتابه "الرحيق المختوم": "وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ – وكان يوم الاثنين – شهد رسول الله جنازة فى البقيع، فلما رجع – وهو فى الطريق – أخذه صداع فى رأسه واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التى تعصب بها رأسه، وقد صلى بالناس وهو مريض ١١ يوما، وجميع أيام المرض كانت ١٣ أو ١٤ يوما.

وثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه، أين أنا غدا ؟ أين أنا غدا ؟ ففهمن مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل الى عائشة، يمشى بين الفضل بن عباس وعلى بن أبى طالب، عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتها، فقضى عندها آخر أسبوع من حياته، وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التى حفظتها من رسول الله ﷺ، فكانت تنفث على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة. وفى يوم الاثنين ١٢ / ربيع الأول سنة ١١ هـ وافته المنية حين اشتدت الضحى، انا لله وإنا إليه راجعون. وقد تم له ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام. (٤)

فشهد لنا التاريخ أن النبى ﷺ لم يشف من مرضه يوم الأربعاء كما يعتقد بعض الناس، بل كان ابتداء مرضه من آخر شهر صفر.

وأما البدع التى أحدثها البريلويون خاصة فى يوم الأربعاء الأخير من هذا الشهر ويعتقدونها دينا فليس لها أدنى صلة بالشريعة الاسلامية الغراء، بل كثير من علماءهم

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦١.

(٢) تاريخ الطبرى ٢ / ١٦١.

(٣) فتح البارى ٨ / ١٦٢.

(٤) الرحيق المختوم ص ٤٦٤ – ٤٦٩ بتغير يسير.

ينكرون على هذه البدع ويرفضونها ويعدونها من المنكرات المنهي عنها.

ونذكر هنا فتاوى "أحمد رضا خان" مؤسس الفرقة لينطبق عليهم قول الله تبارك وتعالى، وشهد شاهد من أهله. (يوسف: ٢٦) ويتضح أفكار علماء البريلويين واعتقادهم وموقفهم من هذه البدع، ونعلم أنهم معنا فى مقاومة هذه البدع الشنيعة التى انتشرت – وللأسف الشديد – بين كثير من جهال المسلمين.

وقد سئل الشيخ أحمد رضا خان ما ملخصه: يظن كثير من الناس أن النبى ﷺ برأ من مرضه يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر واغتسل فيه بعد عودة الصحة فيعدونه يوم عيد ويحتفلون فيه احتفالا كبيرا ويظهرون الفرح والسرور، فهل يوجد له أصل فى الشريعة الاسلامية المطهرة أم لا ؟

فأجاب قائلا: لا أصل له فى الشريعة الاسلامية. (١)

وسئل أيضا أن جماعة من المسلمين يظنون أن النبى ﷺ برأ من مرضه يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر واغتسل فيه فيحتفلون فيه احتفالا كبيرا ويقيمون الولائم والأطعمة المخصوصة والحلوى خارج القرى والمدن ويمشون على الأعشاب للشفاء من الأمراض.

وعلى عكس ذلك يتشاء م بعض الناس من شهر صفر ويعتقدون أنه شهر مشؤوم فيمنعون السفر فيه أو أنه من سافر لقى فيه حتفه أو ما يضره ويطرحون الأوانى القديمة فى جانب الأزقة ويعلقون التمائم على المرضى والسقم ليشفوا من الأمراض وغير ذلك من الأفعال.

فهل يوجد له أضل فى الشرع أم لا ؟ وهل يكون على فاعله وزر أم لا ؟ وهل يستحق العتاب واللوم والتأنيب أم لا ؟

فأجاب: لا أصل ليوم الأربعاء الأخير من صفر، ولم يثبت أن النبى ﷺ برء من مرضه فيه، بل الثابت أن مرضه الذى توفى فيه ابتدأ منه، وجاء فى حديث مرفوع "آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر". (٢)

---

(١) عرفان شريعت ، احمد رضا خان ٢ / ٤٢ – ٤٣، مسئله: ٤٠ – ٤١.

(٢) هذا حديث موضوع، أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٥ بسند ضعيف، وأورده ابن الجوزى فى "الموضوعات" وأقره السيوطى فى "اللآلى" ١ / ٤٨٤ – ٤٨٥، انظر للتفصيل: الضعيفة ٤ / ٨٣ ح: ١٥٨١، وضعيف الجامع (٣)

وأما التشاؤم به وتحطيم الأوانى فيه وتكسيرها فهى اضاعة مال ولا أصل له فى الشريعة المطهرة، والله أعلم. (١)

فثبت أن العلماء كلهم متفقون على أن هذه البدع والتطير به لا أصل له فى الشريعة وهو من ذريعة الشرك ينافى كمال التوحيد، ويوصل الفاعل فى النهاية الى الشرك الأكبر، الذى لا يغفر الله لصاحبه إن مات ولم يتب، ويكون مخلدا فى النار، وتحبط جميع أعماله الصالحة، كما قال الله تعالى: ﴿...... إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾ (المائدة: ٧٢) وقال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما﴾ (النساء: ٤٨) وأما من أنعم الله عليه بسلامة العقيدة وصحتها، فإنه دائما متوكل على الله ومعتمد عليه، وموقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد قال النبى ﷺ لأبى بن كعب: "لو أنفقت مثل أحد ذهبا فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار". (٢) وقال: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه" (٣) وقال: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد الا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له". (٤)

والتشاؤم والتطير، واعتقاد النفع أو الضر فى غير الله ونحو ذلك كله من الشرك الذى هو من أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان: ١٣) والتشاؤم مما ينافى تحقيق التوحيد، فلا يكون العبد محققا التوحيد حتى يسلم من الشرك بأنواعه ويسلم من البدع والمعاصى. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتاب التوحيد: "باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب". (٥)

(١) أحكام شريعت، أحمد رضا خان ٢٠ / ١٩٣ – ١٩٤.
(٢) مسند أحمد ٥ / ١٨٢. (٣) صحيح البخارى مع الفتح ١٠ / ١٢٨.
(٤) صحيح مسلم مع النووى ٩ / ٣٣٩.
(٥) كتاب التوحيد مع فتح المجيد ص ٥١.

وذكر فيه حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى ليس معه أحد، اذا رفع لى سواد عظيم ظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر الى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر الى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذى تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: سبقك بها عكاشة. (١)

فذكر الرسول ﷺ من صفات الذين يدخلون الجنة بلا حساب وعذاب، الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، والتوكل على الله هو الأصل الجامع الذى تفرعت عنه هذه الأفعال.

فخلاصة القول أن التشاؤم بصفر وغيره من الأزمنة ونحو ذلك من البدع الشركية التى يجب تركها والابتعاد عنها، لما ورد فى ذلك من الترغيب والترهيب، ويجب على المسلم أن يحفظ دينه وقلبه وعقيدته من هذه القوادح والخوارم التى تخرم ايمانه وتوحيده، كما يجب عليه أن يصحح قصده وتعلقه بربه من شوائب الجهل والعوائد الفاسدة، ويتواصى بذلك أهله واخوانه المسلمين، وفق الله المسلمين لذلك، وأعاننا واياهم على حسن عبادته وكمال التعلق به، وحذرنا من ضد ذلك مما يقدح فى مقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا، وهو سبحانه ولى التوفيق.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

☆☆☆

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ١١ / ٤٠٥ – ٤٠٦، كتاب الرقاق، حديث رقم: (٦٥٤١)

آداب إسلامية:

آداب الجنازة

(٥)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادى
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفى، جاركند

٤٨ – يجوز الجمع بين جماعة فى قبر واحد إذا دعت إلى ذلك حاجة لحديث هشام بن عامر قال: "جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا: أصابنا قرح وجهد فكيف تأمرنا؟ قال: احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر. (١) الحديث

٤٩ – ويتولى إنزال الميت – ولو كان أنثى – الرجال دون النساء، لأمور:

الأول: أنه المعهود فى عهد النبى ﷺ، وجرى عليه عمل المسلمين حتى اليوم.

الثانى: أن الرجال أقوى على ذلك.

الثالث: لو تولته النساء أفضى ذلك إلى انكشاف شيء من أبدانهن أمام الأجانب، وهو غير جائز. (٢)

٥٠ – وأولياء الميت أحق بإنزاله، لعموم قوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾. (٣)

٥١ – ويجوز للزوج أن يتولى بنفسه دفن زوجته، لحديث عائشة – رضى الله عنها – قالت:

"دخل علىّ رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدىء فيه، فقلت: وارأساه ! فقال: وددت أن ذلك كان وأناحى، فهيأتك ودفنتك. قالت: فقلت غيرى ؟ كأنى بك فى ذلك اليوم عروسا ببعض نسائك، قال: وأنا وارأساه ! ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا، فإنى

(١) أخرجه أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه، وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٢) تلخيص أحكام الجنائز ص ٦٢.

(٣) تلخيص أحكام الجنائز ص ٦٢.

أخاف أن يقول قائل، ويتمنى متمن: أنا أولى ، ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر".

لكن ذلك مشروط بما إذا كان لم يطأ تلك الليلة والا لم يشرع له دفنها، وكان غيره هو الأولى بدفنها ولو أجنبيا بالشرط المذكور، لحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: "شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، ثم قال: هل منكم من رجل لم يقارف الليلة (أهله)؟ فقال أبوطلحة: (نعم) أنا يا رسول الله! قال: فانزل، قال: فنزل فى قبرها، (فقبرها). (١)

٥٢ – من السنة أن يحثي على القبر ثلاث حثيات وهو قائم، لحديث عامر بن ربيعة رضى الله عنه: "أن النبى ﷺ صلى على عثمان بن مظعون وأتى القبر فحثى عليه ثلاث حثيات وهو قائم". (٢)

ومن الأدب أن يحثى الرجل من قبل الرأس ثلاثا بيديه جميعا لحديث أبى هريرة رضى الله عنه: "أن رسول الله ﷺ حثى من قبل الرأس ثلاثا". (٣)

٥٣ – إن السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح، لحديث أبى هياج الأسدى، قال: "بعثنى علي قال لي: أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته". (٤)

٥٤ – لا بأس بالدفن ليلا اذا لم يقع تقصير فى الصلاة على الميت وتكفينه، لحديث ابن عباس: "أن النبى ﷺ دخل قبرا ليلا، فأسرج له سراج، فأخذه من قبل القبلة وقال: رحمك الله ! إن كنت لأواها تلّاء للقرآن" (٥) الحديث.

وقال ابن حزم: لا يدفن أحد ليلا إلا أن يضطر إلى ذلك، قال: ومن دفن ليلا من أصحابه ﷺ وأزواجه فإنه لضرورة أوجبت ذلك من خوف زحام أو خوف الحر على من

(١) تلخيص أحكام الجنائز ص ٦٣.

(٢) رواه الدارقطنى.

(٣) أخرجه ابن ماجه.

(٤) أخرجه مسلم وأبوداود والترمذى والنسائى.

(٥) أخرجه الترمذى ٦٣، باب ما جاء فى الدفن بالليل (١٠٦٣)، قال أبوعيسى: حديث ابن عباس حديث حسن.

حضر أو خوف تغير أو غير ذلك مما يبيح الدفن ليلا. (١)

وقال فى التحفة: وقد دفن النبى ﷺ ليلا كما رواه أحمد عن عائشة، وكذا دفن أبوبكر وعمر رضى الله عنهما ليلا، وعلى رضى الله عنه دفن فاطمة ليلا. (٢)

٥٥ – ليس من الأدب اذا دفن الميت وانصرف الناس عنه أن يقال عند قبره: يا فلان قل: لا إله الا الله، ثلاث مرات، يا فلان قل: ربى الله، ودينى الاسلام، ونبيي محمد ونحو ذلك من الأقوال، لعدم ورود حديث صحيح فى ذلك.

قال فى المنار: إن حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث فى وضعه. (٣)

وقال ابن القيم: إنه – حديث التلقين – حديث ضعيف، ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله. (٤)

نعم ! ثبت فى سنن أبى داود وغيره أن النبى ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل".

فالوقوف على القبر بعد دفن الميت، والدعاء له بالتثبيت والاستغفار له أمر مشروع كما دل على ذلك الحديث النبوى المتقدم.

٥٦ – يجوز نقل الميت من قبره الى موضع آخر لعلة، لحديث جابر قال: "دفن مع أبى رجل فكان فى نفسى من ذلك حاجة فأخرجته بعد ستة أشهر فما أنكرت عنه شيئا الا شعيرات كن فى لحيته مما يلى الأرض" (٥)

وفى الموطأ قال مالك إنه سمع غير واحد يقول: إن سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد ما تابا لعقيق فحملا الى المدينة ودفنا بها. (٦)

(١) سبل السلام ٢ / ١٦٥. (٢) ٤ / ١٤١.
(٣) سبل السلام ٢ / ١٦٠. (٤) المصدر نفسه.
(٥) أخرجه أبوداود، والحديث سكت عنه المنذرى.
(٦) عون المعبود ٩ / ٥٤.

وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى خلافة علي: قال شريك نقله ابنه الحسن إلى المدينة. وقال المبرد عن محمد بن حبيب: أول من حول من قبر إلى قبر على. (١)

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما قتل على بن أبى طالب حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ. (٢)

قال المحدث العظيم آبادى: وهذه الآثار فيها جواز نقل الميت من الموطن الذى مات فيه إلى موطن آخر يدفن فيه، والأصل الجواز فلا يمنع من ذلك الا لدليل. (٣)

٥٧ – لا بأس بوضع العلامة على القبر كنصب حجر أو نحوه ليعرفه الناس، أو ليدفن إليه من يموت من أهله، لحديث المطلب بن أبى وداعة رضى الله عنه قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، أمر النبى ﷺ رجلا أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: قال الذى يخبرنى عن رسول الله ﷺ: كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حملها فوضعها عند رأسه، وقال: أعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى. (٤)

٥٨ – يستحب لمن كان منتظرا دفن الجنازة أن يجلس مستقبل القبلة، لحديث البراء بن عازب قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد، فجلس النبى ﷺ مستقبل القبلة وجلسنا معه. (٥)

٥٩ – ولا يستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت، فإن النبى ﷺ لم يفعل ذلك هو ولا أصحابه، والعبد لا يدرى أين يموت. (٦)

٦٠ – يكره المشي بالنعال بين القبور، لحديث بشير مولى رسول الله ﷺ قال فى

---

(١) عون المعبود ٩ / ٥٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) رواه أبوداود.
(٥) رواه أبوداود، قال الشوكانى: رجال اسناد هذا الحديث رجال الصحيح، مرعاة المفاتيح ٢ / ٥٠٦.
(٦) تلخيص أحكام الجنائز ص ٦٩.

حديثه: "ثم حانت من رسول الله ﷺ نظرة فإذا رجل يمشى فى القبور عليه نعلان، فقال: يا صاحب السبتيتين! ويحك ألق سبتيتيك، فنظر الرجل فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما". (١)

٦١ – تسن تعزية أهل الميت، لحديث عمرو بن حزم مرفوعا " ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة". (٢)

٦٢ – يحسن بالمسلم أن يسترجع (٣) إذا أصابته مصيبة لحديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها، وابدل لى بها خيرا منها". (٤)

٦٣ – من السنة أن يصنع أقرباء الميت وجيرانه لأهل الميت طعاما يشبعهم ليلتهم ويومهم، ويكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت لأنه شرع فى السرور لا فى الشرور، وهى بدعة مستقبحة، لحديث عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: "اصنعوا لآل جعفر طعاما، فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم". (٥)

(يتبع)

☆☆☆

(١) رواه أبوداود، وقال المنذرى: والحديث أخرجه النسائى وابن ماجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه وحسّنه النووى.

(٣) أن يقول: إنا لله وانا اليه راجعون.

(٤) أخرجه أبوداود فى السنن، كتاب الجنائز، باب الاسترجاع.

(٥) أخرجه أبوداود، كتاب الجنائز ٣٠، باب صنعة الطعام لأهل الميت (٣١١٦).

شخصية إسلامية

من أعلام السلفيين فى الهند
فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي السلفي
رحمه الله تعالى
(١٣٤٩ – ١٤٢٨ هـ = ١٩٣٠ – ٢٠٠٧م)

إعداد: الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد
الكويت

أنجبت مدينة "مئوناته بهنجن" – وهي مدينة علمية وصناعية معروفة في الولاية الشمالية فى الهند – علماء بارزين فى مجالات مختلفة من العلم والمعرفة، والتصنيف والتأليف، والبحث والتحقيق، والدعوة والإرشاد.

ومن هؤلاء الأعلام الذين يخلد ذكرهم فى التاريخ الديني المعاصر للمسلمين في الهند، فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي السلفي – رحمه الله تعالى – .

ولد الشيخ في أحد شهور سنة (١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م)، في أسرة سلفية محافظة، ونشأ فيها وترعرع على حب العلم والدين، والتمسك بالشرع المتين، وقد شكر الله عزّ وجل جهد والده، حيث كان يذهب به إلى المؤتمرات الدعوية والاجتماعات الدينية منذ صغره، ويطلب من العلماء الدعاء له أن يكون من زمرتهم، فاستجاب الله دعاءهم له، فصار من العلماء الدعاة – رحمهم الله تعالى –.

طلبه للعلم:

تلقى الشيخ تعليمه في أشهر المدارس الإسلامية آنذاك (مثل "الجامعة العالية العربية" بمئو، والجامعة الإسلامية "فيض عام" بمئو، والجامعة الرحمانية "دار الحديث" بدلهي، و "دار العلوم لندوة العلماء" بلكناؤ)، وعلى أيدي أشهر الأساتذة والشيوخ، أمثال الشيخ محمد أحمد (الأمين العام لجامعة فيض عام، والإداري المحنك المعروف)، والشيخ عبد الله شائق (مؤسس دار الحديث الأثرية، والأديب المشهور)، والشيخ أبى القاسم البنارسي (صاحب القلم السيال، واللسان البليغ فى الدفاع عن السنة، من تلاميذ المحدث السيد نذير حسين

الدهلوي) وغيرهم – رحمهم الله تعالى –.

وحصل على شهادة العالمية من ندوة العلماء، والفضيلة من جامعة فيض عام، وكذلك من الهيئة التعليمية فى حكومة (يوبى) أيضا، ودبلوم فى علوم المكتبة، والليسانس فى الانجليزية من جامعة على كره الاسلامية بالهند.

حياته الدعوية:

بدأ حياته الدعوية بالإمامة والخطابة فى المسجد (وهى كانت وظيفة خلفاء المسلمين وأمرائهم أيام ازدهار دول الاسلام) وانتهى بها، ولم يفرط فى هذه الوظيفة رغم مسئولياته الكثيرة المتنوعة مع تقدمه فى السن، وقضى من عمره ما يقارب خمسا وخمسين سنة بين جوامع أهل الحديث فى مدينة "كلكتة" و "ممباي" وعرف ببلاغة أسلوبه، وقوة بيانه، ونداوة صوته على مستوى الهند، فكانت الاجتماعات الدينية والمؤتمرات الإسلامية تتجمّل بدروسه ومحاضراته من أقصى الهند إلى أدناها.

مناصبه:

كان الشيخ – رحمه الله تعالى – عضوا فى العديد من الهيئات التعليمية، والمنظمات الاسلامية، والمؤسسات الخيرية فى داخل الهند وخارجها، وقد تقلد مناصب عديدة فى الهند، من أهمها:

☆ اختير نائبا لرئيس الجامعة السلفية (بنارس، الهند)، وكان له دور رئيسي رائد فى التعريف بهذه الجامعة المباركة فى العالم العربي، وتمويل مشاريعها التعليمية والبنائية الى ما يقارب عقدين من الزمن من انشائها، فجزاه الله خيرا.

☆ انتخب رئيسا لجمعية أهل الحديث لعموم الهند فى الفترة ما بين (١٩٩٠ – ١٩٩٧) ومن أهم إنجازاته قبل توليه الرئاسة أنه اشترى بناية في قلب "دلهي" (عاصمة الهند)، بالتعاون مع الجامعة السلفية، بنارس، وجعلها مقرا للجمعية المذكورة، وهي معروفة الآن بـ "أهل الحديث منزل".

وهذه منة عظيمة على أهل الحديث السلفيين فى الهند، الذين لم يكن لجمعيتهم المركزية مقر خاص بها منذ تشكيلها سنة ١٩٠٦م.

☆ كان نائب رئيس "هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند" الى آخر حياته، وهى منظمة شرعية تدافع عن حقوق المسلمين على مستوى الحكومة.

مـآثـــره:

كان الشيخ – رحمه الله تعالى – ذا همة عالية، وعزيمة قوية، وطبيعة أخّاذة، مثل النحل يجلس على كل زهرة، ينشف رحيقها ليستفيد منه الناس فيما بعد.

فاستفاد الشيخ من اقتراحات المؤتمرات الاسلامية والمؤسسات الدينية ما يجعل المسلمين على مستوى الأحداث فى مجال التعليم والتربية، والصحة والنظافة، والبناء والتعمير، والنشر والتأليف.

وتتلخص مآثر الشيخ فى ثلاثة جوانب مهمة: جانب التعليم والتربية، وجانب البناء والتعمير، وجانب نشر الثقافة الدينية.

ولترجمة هذه الجوانب وتحقيقها الى أمر الواقع أنشأ ثلاث مؤسسات:

١ – الجمعية المحمدية التعليمية والخيرية:

أقيمت هذه الجمعية سنة ١٩٧٨ م تنفيذا لقرار مؤتمر "مناهج التعليم وصبغها بالصبغة الإسلامية" الذى عقدته جامعة الملك عبد العزيز بجدة، فأنشأت عدة كليات ومعاهد ومدارس بمنهج دراسي خاص يجمع بين العلوم الدينية والعلوم العصرية، ويؤهل الطلبة لمواجهة تحديات العصر ضد الإسلام والمسلمين، ومن إنجازاتها:

☆ الجامعة المحمدية (منصورة، ماليغاؤں)، وهي من أشهر الجامعات الدينية فى الهند، والجامعة المحمدية (بنغلور).

☆ كلية عائشة الصديقة رضي الله عنها (منصورة) وكلية عائشة (بنغلور)، وكلية فاطمة الزهراء (مئو)، ولم يكن للمسلمين في الهند كبير اهتمام بتعليم البنات، فبادر الشيخ بكسر هذا الحاجز، وأنشأ هذه الكليات، وواجه معارضة شديدة، ولكن تحملها، والآن تأسى به كثير من الناس بإقامة مدارس خاصة للبنات.

☆ كلية الطب المحمدية (منصورة) شهادتها معترف بها لدى الحكومة.

☆ مستشفى الساير بكامل تجهيزاته (منصورة)، والمستشفى المحمدي العام (عاليه جنرل هاسبتل) (مئو).

هذه الجامعات الدينية والكليات العصرية، والمستشفيات المجهزة لعبت دورا هاما فى تزويد الطلبة بالثقافة الإسلامية والعصرية، وتقديم المساعدات الطبية للمواطنين.

٢ – إدارة إصلاح المساجد:

شعر الشيخ – رحمه الله تعالى – بمسيس حاجة الملايين المملينة من المسلمين إلى

مساجد مشيدة نظيفة فأنشأ "إدارة إصلاح المساجد" وقد أدت هذه الإدارة دورا عجيبا لا ينسى فى هذا الباب.

قامت بتشييد المساجد وترميمها على نطاق واسع، حتى بلغ عددها أكثر من أربع مائة مسجد فى شتى ولايات الهند، وهي تتميز برصانة البناء وجمال الترتيب، وحسن النظام، وتقوم بأداء رسالتها فى الدعوة إلى الله تعالى.

هكذا عادت هيبة المساجد في القلوب سعة ونظافة، ورصانة ومتانة، ونظاما وجمالا، بفضل الله عز وجل، ثم بجهود الشيخ المتمثلة في الإدارة المباركة.

٣ - الدار السلفية:

أحسّ الشيخ – رحمه الله تعالى – بأهمية وجود دار لنشر كتب دينية ودعوية ومنهجية وثقافية، لما لها من أهمية فى بناء شخصية المسلم، فأنشأ "الدار السلفية" (ممباي) التي طبعت كتبا نافعة ورسائل ماتعة كثيرة، حتى بلغت إصداراتها ما يقارب (٢٥٠) كتابا، بالعربية والأردية والهندية والإنجليزية.

وهذه الدار تعرف بتميزها بطباعتها الفاخرة بين دور النشر الإسلامية فى الهند.

وقد نشرت هذه الدار كتب الشيخ ورسائله المفيدة فى فهم العقيدة الصحيحة، والتحذير من البدع والخرافات.

وبهذه المناسبة أذكر أن الشيخ كانت له خبرة طويلة فى كتابة المقالات في الجرائد والمجلات، لو جمعت تبلغ مجلدات، وما ذلك على الله عسير.

وقد كان الشيخ مشرفا عاما على مجلة "صوت الحق" (منصورة)، ومجلة "البلاغ" (ممباي)، التي كان يتحفها شهريا بأربع مقالات في مواضيع شتى، واستمر على ذلك إلى آخر حياته – رحمه الله تعالى –.

صفاته وأخلاقه:

كان الشيخ – رحمه الله تعالى – وجيها ذا وقار، ومتحدثا لبقا، جادا مجدا في أداء الواجبات والمسئوليات التي كانت عليه، متواضعا، ناصحا، ذا دعابة معهودة.

أرى من تواضعه – رحمه الله تعالى – أنه زارني منفردا في مقري بالكويت، وكذلك فى (نيو دلهي) زيارة خاصة، واستفدت من زيارته نصائح غالية أتذكرها حتى الأن.

وبالمناسبة أقول: إنه – رحمه الله تعالى – أرادني أن أكون في "الجامعة المحمدية"

(منصورة)، وحاول لذلك مرتين، ولم يتم لي ذلك.

مرة عند تخرجي في الجامعة السلفية (بنارس)، ولكني حظيت بالبقاء فيها خادما لمكتبتها العامة، منتظرا التحاقي بالجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة.

وأخرى عند تخرجي فى الجامعة الإسلامية.

ومن الطريف أنه تم تعاقدي مع دار الإفتاء فى مكتبها فى "باريس" (فرنسا) بتوصية من سماحة العلامة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية) –رحمه الله تعالى–، وذلك بوساطة إخواننا الأفاضل الكبار فى مكة المكرمة، ثم حولت من قبل مدير إدارة الدعوة فى الخارج إلى "الجامعة المحمدية" (منصورة)، وأنا لا أعلم، ولا أرغب فى الذهاب إلى فرنسا، فتوكلت على الله واستلمت بطاقة التعاقد، وسافرت إلى الكويت فى طريقي إلى الهند، على طلب من الإخوة هناك، فأعجبنى المقام بهذه الدولة الحبيبة المحروسة، لما رأيت في إخوتي من أهلها الكرام، من رغبة صادقة فى بقائي معهم، مع كرم الضيافة، وحسن المعاملة، فبقيت فيها إلى الآن، وقد مضى على ذلك أكثر من ربع قرن من الزمان، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

إلى الدارة الآخرة

كانت حياة الشيخ – رحمه الله تعالى – متعددة الجوانب، مترامية الأطراف، حافلة بالمآثر والأعمال الرائدة، خاصة فى مجال التعليم والتربية، والبناء والتعمير، وبث الثقافة الإسلامية بواسطة الكتب والرسائل.

وقد تمتع بعلاقات واسعة مع أهل الخير جماعات وأفرادا، ونال ثقة الجميع فترجمها فى المشاريع الإسلامية من تشييد المدارس والمساجد، والمستشفيات والملاجىء للمنكوبين.

وكان يتميز بالحكمة، والحنكة، والموعظة الحسنة، والدعابة المعهودة.

وعرف خطيبا مصقعا، وداعية قديرا، وكاتبا ظريفا، وإداريا محنكا.

هكذا قضى حياته – رحمه الله تعالى – متقلبا من منصب إلى منصب، ومن عمل إلى آخر من غير ملل ولا كلل، حتى جاء أجله المحتوم فى "ممباي"، وانتقل إلى جوار ربه، وذلك مساء يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٤٢٨ هـ، الموافق التاسع من سبتمبر سنة ٢٠٠٧ م، عن عمر يقارب تسعا وسبعين سنة هجرية، ودفن فيها يوم الاثنين، في جنازة مشهودة حضرها جم غفير من عامة المسلمين وخاصتهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه !!

☆☆

بحوث ودراسات

المفـتـي
في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر

الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة

الحمد لله رب العالمين، وإله الناس أجمعين، شرع للناس شريعة كاملة لا نقص فيها، شاملة لا يعزب عنها حكم لأي تصرف فى هذه الحياة، ألزم الناس بالعمل بمقتضاها، وألزم طائفة من الناس أن يتفقهوا فيها، وأن يفتوا غير المتفقهين فى أحكام ما يجهلونه منها.

والصلاة والسلام على رسولنا محمد بن عبد الله، أعلم الناس أجمعين بشريعة الله سبحانه، وأكملهم تطبيقا لها، وأحرصهم على إيصال هذه الشريعة للناس بالتبليغ والإفتاء.

والصلاة والسلام موصولان على أصحابه الذين هم قمة أمة محمد ﷺ علما بالشريعة، وتعليما لها، واجتهادا في أحكامها، وعملا بها، وإفتاء لغيرهم بأحكامها.

والصلاة والسلام لا ينقطعان الى يوم الدين على من تبعهم بإحسان.

وبعد: لا يخلو أي عصر من العصور – مهما كان ما يسير عليه من أنظمة دينية وسياسية واقتصادية وغيرها – من ظواهر اجتماعية: تبرز فى محيطه، ويكون لها الأثر القوي فى سلوكه، والهيمنة الكاملة فى توجيه طاقاته نحو ما يعود عليه بالخدمة، للحفاظ عليها وتنميتها إن كانت ظواهر محمودة، وبإزالتها – إن كان يمكن ذلك – أو إيجاد ما قد يحد من خطرها – حين لا يمكن ذلك – إن كانت ظواهر سيئة.

والباحث النابه، يكون واجبه تجاه ذلك ملاحقة تلك الظواهر، والتحدث فيها، والمشاركة فى بحثها على النحو الملائم لها، شأنه فى ذلك شأن الطبيب الماهر الذى يتتبع الأمراض البدنية يطبق عليها ما جد فى دنيا الطب من علاج، ويعصر ذهنه بالمقارنة والتجربة لما لم يجد له قبل ذلك نظيرا، ويتتبع الظواهر الصحية، فيهديها لمجتمعه، ويعين على تنميتها

الى أرفع مستوى يستطيع الوصول إليه بها.

ومن هذه الظواهر الاجتماعية غير المحمودة التي برزت فى المجتمعات الإسلامية فى هذا العصر، الجهل بكثير من أحكام دينها، حتى صار كثير من الناس يسير فى أمور دينه على غير هدى، وصار الحصيف فيهم من يسأل العلماء عما يحتاج إليه فى ذلك.

ومن هنا برزت قضية الفتوى من العالم للجاهل، علاجا لتلك الظاهرة، أو مواجهة لها بما قد يحد من آثارها على المتصف بها.

غير أن هذا العلاج – وإن كان هو العلاج الوحيد لهذه الظاهرة – لم يسر سيره الذى ينبغى أن يسيره فى كثير من الشعوب الإسلامية، حيث تصدى للفتوى كثير ممن لا تتوافر فيهم شروط المفتي، ولا تكتمل فيهم كثير من الأمور التى ينبغى لمن نصب نفسه لهذا المنصب أن يتفطن لها، وذلك ناتج فى كثير من الأحوال عن قلة من هو أهل لهذا المنصب، وانغماره فى خِضَمِّ هذه الأمواج الهائلة من الجهلة بأحكام دينها، وحبّ كثير ممن شدا بقسط قليل من العلم للظهور. والتبوء للمكان الذي لم يتأهل بعد لأن يتسنم ذروته.

ومن أجل ذلك كله آثرت أن يكون هذا البحث متناولا للمفتي في الشريعة الإسلامية.

ولن يخفى على روّاد هذا الميدان أن الإلمام به، والتعمق فى جزئياته – فى بحث قصير كهذا – بعيد، إن لم يكن مستحيلا.

لذا فإننى سأقتصر فيه على:

– التعرف على المفتي.

– أقسام المفتيين.

– منزلة المفتي في الشريعة الإسلامية.

– شروط من يتصدى لهذا المنصب العظيم.

– جملة أمور مما ينبغى له أن يتفطن لها حينما يمارس الفتوى.

وأختمه بخاتمة ألخص فيها ما أنتهي إليه من نتائج، مذيلة باقتراحات تهدي إليها تلك النتائج، وتؤكد ضرورتها، سائلا الله (سبحانه) أن يمدّني بعونه فيما أترسّمه من خطوات،

وإلهامه فيما أقرره من حقائق، وتوفيقه فيما أصل إليه من نتائج ومقترحات.

تعريف المفتي:

الحروف الأصلية التي قامت عليها هذه الكلمة، هي الفاء، والتاء، والحرف المعتل، ولها مدلولان: أحدهما: الطراوة والجدة، والآخر: تبيين الحكم (١)، والذي يناسب هذه الكلمة فى موضوعنا المدلول الأخير، وإذن فالمفتي اسم فاعل على وزن "مُفعل" مشتق من الإفتاء بمعنى الإبانة، يقال: أفتاه في الأمر، أبانه له" (٢)، ويقال: "أفتى الفقيه فى المسألة، إذا بيّن حكمها" (٣).

وأما فى الاصطلاح، فقد اختلف العلماء فى تعريفه على آراء أهمها:

١ – أن المفتي هو المجتهد المطلق، وهو الفقيه، على حد تعبير صاحب "تحرير الكمال" (٤).

ولهذا يقول "الصيرفي" (٥): إنه "موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم، وعلم جمل عموم القرآن، وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك فى السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها".

ويقول "ابن السمعاني" (٦): "هو من استكمل فيه ثلاثة شروط: الاجتهاد، والعدالة، والكف عن الترخيص والتساهل. وللمتساهل حالتان: إحداهما: أن يتساهل في طلب الأدلة وطرق الأحكام، ويأخذ ببادىء النظر وأوائل الفكر، وهذا مقصر في حق الاجتهاد، ولا يحل له أن يفتي ولا يجوز. والثانية: أن يتساهل فى طلب الرخص وتأول السنة، فهذا متجوز فى دينه، وهو آثم من الأول".

٢ – ويذهب بعض العلماء إلى أن المفتي يكفي فيه أن يكون متبحرا فى مذهب إمامه،

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط أولى، سنة ١٣٦٩ هـ، مادة "فتى".

(٢) الفيروز آبادى، القاموس المحيط، مصر، مطبعة السعادة، سنة ١٣٣٢هـ، مادة "الفتاء".

(٣) ابن فارس، المصدر السابق، مادة "فتى".

(٤) محمد علي بن حسين، تهذيب الفروق، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط أولى، سنة ١٣٤٤ هـ، ٢ / ١١٦.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه ص ١١٦ – ١١٧.

فاهما لكلامه، عالما لراجحه من مرجوحه، خبيرا بالمرجوع عنه من المرجوع إليه، فلا يشترط فيه أن يكون مستطيعا لاستنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، ولا متبحرا فى الكتاب والسنة، عالما بوجوه مباحثهما.

وقد أيّد أصحاب هذا القول كلامهم بأن اشتراط الاجتهاد المطلق فى المفتي، يفضي إلى حرج عظيم، واسترسال الخلق في أهوائهم. (١)

ثم إن المفتي حينما يكون متبحرا في مذهب إمامه يكون ذلك كافيا، حيث إنه يغلب على ظن العامي أنه حكم الله عنده. (٢)

والقضاء – وهو مركز عظيم – قد أطبق الناس فيه على تنفيذ أحكام من تولاه دون مراعاة لحصول شرط الاجتهاد فيه (٣)، فليكن للمفتي ما للقاضي من حيث عدم اشتراط الاجتهاد فيه.

بل إنه قد انعقد الإجماع على جواز الإفتاء لمن يتوفر فيه هذا الشرط، فقد قال الشيخ "تاج الدين السبكي(٤)": "وقد انعقد الإجماع فى زماننا على هذا النوع من الفتيا".

وإذا أضفنا إلى ما تقدم ما يحدثنا به التاريخ من أن أناسا برزوا فى العصور الزاهية للاسلام وملأوا الدنيا بعلومهم وآرائهم الصائبة، وادّعوا الاجتهاد المطلق تبعا لذلك، ومع ذلك لم يسلّم لهم أهل عصرهم به.

وإذا أضفنا – أيضا – إلى ذلك، ما نشاهده فى واقع الأمة الإسلامية، من كثرة الجهل بأحكام الدين فى كثير من أفرادها، وكثرة المشاغل التى تنتاب الفئة المتخصصة فى أحكام الشريعة الإسلامية مما قد يحول بينها وبين الوصول إلى درجة الاجتهاد المطلق فى أحكام شريعتها، إذا أضفنا ذلك كله إلى ما تقدم، تبين لنا أنه لا يشترط لمن يتبوأ هذا المنصب أن تتوافر فيه صفة الاجتهاد المطلق.

(١) ابن السبكي، توشيح الترشيح، اقتبسه محمد على بن حسين فى كتابه (تهذيب الفروق) ٢ / ١١٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولعل من نافلة القول أنه إذا جاز لمن هذه صفته أن يتصدى للفتيا، فإنه يجوز بالأولى لمن كان مجتهدا مطلقا، أو مجتهدا مقيدا فى مذهب من ائتم به "بأن يعرف قواعده، وتفصيل مذهبه، ويقوى على استخراج الأحكام فيما لم ينص عليه إمامه، مراعيا قواعد إمامه، وعلى ترجيح قول على آخر داخل المذهب، حينما يجهل المتقدم منها من المتأخر" (١) .

ولهذا نرى الإمام "ابن القيم" (المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله) (٢) – حين تحدث عمن يجوز لهم أن ينتصبوا للفتيا، ويجوز للعامة أن يتجهوا إليهم بالأسئلة عن أحكام دينهم – يقسمهم إلى أربعة أقسام:

أحدهم: العالم بكتاب الله، وسنة رسوله، وأقوال الصحابة، فهو المجتهد فى أحكام النوازل، يقصد فيها موافقة الأدلة الشرعية حيث كانت، ولا ينافي اجتهاده تقليده لغيره أحيانا، فلا تجد أحدا من الأئمة الا هو مقلد من هو أعلم منه فى بعض الأحكام ......

النوع الثانى: مجتهد مقيد فى مذهب من ائتم به، فهو مجتهد فى معرفة فتاويه وأقواله ومأخذه وأصوله، عارف بها، متمكن من التخريج عليها، وقياس ما لم ينص من ائتم به عليه على منصوصه، من غير أن يكون مقلدا لإمامه لا فى الحكم ولا فى الدليل، لكن سلك طريقه فى الاجتهاد والفتيا، ودعا إلى مذهبه، ورتّبه، وقرره، فهو موافق له فى مقصده وطريقه معا ......

النوع الثالث: من هو مجتهد فى مذهب من انتسب إليه. مقرر له بالدليل، متقن لفتاويه، عالم بها، لكن لا يتعدى أقواله وفتاويه، ولا يخالفها، إذا وجد نص إمامه لم يعدل عنه إلى غيره ألبتة ......

النوع الرابع: طائفة تفقهت فى مذهب من انتسبت إليه، وحفظت فتاويه وفروعه، وأقرت على أنفسها بالتقليد المحض من جميع الوجوه، فإن ذكروا الكتاب والسنة يوما فى مسألة، فعلى وجه التبرك والفضيلة، لا على وجه الاحتجاج والعمل، وإذا رأوا حديثا صحيحا مخالفا لقول من انتسبوا إليه، أخذوا بقوله، وتركوا الحديث، وإذا رأوا أبا بكر وعمر

---

(١) شيخنا، الشيخ (عبدالرزاق عفيفى)، من "أماليه" حين كان يقرر لنا هذه القضية.

(٢) أعلام الموقعين، ت محى الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط أولى ١٣٧٤ هـ، ٤ / ٢١٢ – ٢١٤.

وعثمان وعليا وغيرهم من الصحابة (رضى الله عنهم) قد أفتوا بفتيا، ووجدوا لإمامهم فتيا تخالفها، أخذوا بفتيا إمامهم، وتركوا فتاوى الصحابة قائلين: الإمام أعلم بذلك منا، ونحن قد قلدناه، فلا نتعداه ولا نتخطّاه، بل هو أعلم بما ذهب إليه منا.

ومن عدا هؤلاء، فمتكلف متخلف، قد دنا بنفسه عن رتبة المشتغلين، وقصر عن درجة المحصلين، فهو مكذلك مع المكذلكين، وإن ساعد القدر واستقل بالجواب، قال: يجوز بشرطه، ويصح بشرطه، ويجوز ما لم يمنع منه مانع شرعي، ويرجع فى ذلك إلى رأي الحاكم، ونحو ذلك من الأجوبة، التي يستحسنها كل جاهل، ويستحى منها كل فاضل".

منزلة المفتى

الإفتاء منصب عظيم، به يتصدى صاحبه لتوضيح ما يغمض على العامة من أمور دينهم، ويرشدهم إلى المناهج المستقيمة، التى فى سلوكهم لها فلاحهم ونجاحهم، ولهذا سموا أولي الأمر، وأمر الناس بطاعتهم، بل قرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله ﷺ، حيث يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (١).

بل هو المنصب الذى تولاه الله (سبحانه) بنفسه، حيث يقول تعالى: ﴿ويستفتونك فى النساء، قل: الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب﴾ (٢) ويقول أيضا: ﴿يستفتونك قل: الله يفتيكم فى الكلالة﴾ (٣) وكفى بهذا المنصب عظما وجلالة أن يتولاه رب السماوات والأرض، وكفى بمن يتولاه شرفا ومنزلة عالية أن يكون نائبا عن الله فى هذا المنصب (٤).

والمفتي – أيضا – قائم مقام النبى ﷺ فى وراثته لعلم الشريعة منه ﷺ، وإبلاغها للناس، وتعليمها للجاهل بها، والإنذار بها.

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) المصدر نفسه، والسورة نفسها، آية ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، والسورة نفسها، آية ١٧٦.

(٤) ابن القيم، اعلام الموقعين ١ / ١١.

فأما قيامه مقامه ﷺ فى وراثة الشريعة، فيدل له قوله ﷺ فيما رواه عنه أبوداود والترمذى بسنديهما: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم".

وما رواه عنه البخارى ومسلم بسنديهما: "بينا أنا نائم، أتيت بقدح من لبن، فشربت حتى أني لأرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم".

وقال الله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين﴾ (١)

وأما قيامه مقامه ﷺ فى إبلاغها للناس، وتعليمها للجاهل،فيدل له قوله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده: "ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب".

وما رواه الإمام أحمد والبخارى والترمذي أنه ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية".

وما رواه الإمام أحمد وأبوداود والحاكم عن ابن عباس، أن النبى ﷺ قال: "تسمعون، ويسمع منكم، ويسمع ممن يسمع منكم".

وأما قيامه مقامه ﷺ فى الإنذار بها، فيدل له قول الله تعالى: ﴿إنما أنت نذير﴾ (٢) مع قوله تعالى: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ (٣) .

وبهذا يتضح لنا ما للمفتي فى الشريعة الاسلامية من منزلة عظمى، حيث كان يتبوأ مقام النبى ﷺ فيما قدّمناه من أمور، ويخبر عن الله سبحانه، ويوقع شريعته على أفعال المكلفين (٤).

(يتبع)

☆☆☆

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، سورة هود، آية ١٢.

(٣) المصدر نفسه، سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٤) ينظر الشاطبى، الموافقات، ت عبد الله دراز، مصر، المطبعة الرحمانية ٤/٢٤٤–٢٤٦.

السيرة النبوية

صور من الخلق النبوى وأثرها فى القلوب

ظهير أحمد بشير – مالده

فى اعتناق الناس بالاسلام بسرعة مدهشة كان من الدواعى الأساسية هو خلق رسول الله ﷺ الذى قرب النفوس الى الاسلام، وحببه إلى القلوب، وصيره بحيث تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة القوم بعد الإباء، حتى دخلوا فى دين الله أفواجا. ولا شك أن كمال نفسه ومكارم أخلاقه كانت سر نجاح للدعوة، و سر حكم على القلوب. يكشف عن ذاك قول خديجة رضى الله عنها للرسول ﷺ بعد نزول الوحى الأول فى غارحرا، فهى تقول: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق . (١)

كان الرسول ﷺ قد بلغ من العدل، والعفة ، والصدق ، والأمانة، مبلغا لم يكن أحد أرفع منه، اعترف له به بذلك أقرباؤه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته بالأمين، ويتحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام، روى الترمذى عن على أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (٦: ٣٣) .

خديجة تتأثر بخلقه قبل البعثة:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، تضار بهم إياه بشىء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرجت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له

(١) صحيح البخارى : ١/٢

ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. ولما رجع إلى مكة ورأت خديجة فى مالها من الأمانة ،والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين وجدت ضالتها المنشورة. وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبى عليهم ذلك فتحدثت بما فى نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية وهذه ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم عمه فذهبوا إلى عم خديجة ، وخطبوها إليه وعلى إثر ذلك تمَّ الزوج.

عظيم الروم يتمنى لقاء ه:

بعث رسول الله ﷺ بكتاب مع دحية الكلبى إلى هرقل عظيم الروم فسأل عنه ﷺ أبا سفيان أسئلة منها: فهل كنم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا، ومنها: قال هرقل: ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم : ويأمرنا بالصلاة و الصدق والعفاف والصلة. فلما سمع هرقل مقالته قال: فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاء ه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. (١)

الخلق العظيم الذى لا يدرك غوره :

عن رجل من بنى سواد قال: سألت عائشة فقلت أخبرينى يا أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . (٢)

والخلق العظيم يتجلى من قصة الطائف الدعوية وهى كما روى البخارى تفصيل هذه القصة بسنده عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيتَ وكان أشد ما

(١) المصدر السابق: ١ / ٤

(٢) صحيح ، انظر تيسير العلى القدير لاختصار ابن كثير رقم الحديث : ٤٨٧

لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم – على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب وهو المسمى بقرن المنازل – فرفعت رأسى فإذا بسحابة قد أظلتنى، فنظرج فإذا فيها رجل، فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فنادانى ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد، ذلك فما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين – أى لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله وهو قعيعان – قال النبى ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده ولا يشرك به شيئا.

قال الشيخ صفى الرحمن المباكفورى رحمه الله بعد سرد هذا الحديث: "وفى هذا الجواب الذى أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة ، وما كان عليه من الخلق العظيم الذى لا يدرك غوره" . (١)

الفضل الذى شهد به الأعداء :

عند الرجوع من غزوة نزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيف ونام وجاء رجل من المشركين اسمه غورث (٢) بن الحارث وأخذ السيف وسله من غمده قائلا: من يمنعك منى؟ قال رسول الله ﷺ : الله ! فسقط السيف من يد المشرك فأخذ رسول الله ﷺ السيف و قال للمشرك: من يمنعك منى ؟ فقال المشرك: كن خير آخذا! فقال الرسول : أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، قال المشرك: لا، ولكنى أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى الرسول ﷺ سبيله فأتى المشرك أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

الخادم والأسير يعتنقان الإسلام :

كان ﷺ يعود من مرض من أصحابه ، وعاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب وعاد

---

(١) الرحيق المختوم : ص ١٢٧

(٢) رحمة للعالمين للعلامة محمد سليمان المنصورفورى : ١ / ٢٦٧

عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فأسلم اليهودى، (١) ولم يسلم عمه. وأسر ثمامة بن أثال سيد بنى حنيفة، فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم. (٢)

ذلك لما رأى الخادم فى الرسول ﷺ من خلال عذبة، وسلوكيات كريمة، يتجلى ذلك من حديث أنس رضى الله عنه أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا شيء لم أفعلى ألا فعلته ؟ وكما رآها الأسير مما لا يرجى من منا وئيه ومخالفيه عادة.

نفخات إيمانية :

كان فتح مكة فتحا أعظم استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا، وكان خلق الرسول ﷺ "لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء" فبدأ يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتتابع الوفود إلى المدينة فى سنتى تسع وعشر. حتى ان الجيش الاسلامى الذى كان قوامه عشرة آلاف مقادل فى غزوة الفتح، إذ هو يزخر فى ثلاثين ألف مقاتل فى غزوة تبوك، قبل أن يمضى على فتح مكة عام كامل، ثم نرى فى حجة الوداع من رجال الإسلام – مأة ألف من الناس أو مأة وأربعة وأربعون ألفا منهم – حول رسول الله ﷺ بالتلبية والتسبيح والتحميد تدوى له الآفاق وترتج له الأرجاء.

هذا غيض من فيض من كمال خلقه ﷺ وإلا فهناك نماذج و نماذج من الحياء والكرم، والشجاعة، والصفح والحلم، والرأفة، والعدل والصبر، والصدق و العفة والزهد، بما لا يحيط بوصفه البيان. وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا فى حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

☆☆☆

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: ١ / ٤٩٤

(٢) زاد المعاد: ٣ / ١١٠

التوجيه الاجتماعى

أهمية الوقت

فاروق عبد الله محمد أشرف الحق
جاركند

لقد أرشدنا الله فى كتابه الكريم على لسان نبيه العظيم عليه الصلاة والتسليم إلى أهمية الوقت والتوقيت فى حياتنا وأعمالنا، فرسم لنا الأحكام الشرعية وحدد لنا مواقيتها ومواعيد أدائها وحذرنا من التفريط والتقصير فيها بإخراجها عن أوقاتها، وفى توقيت الصلوات وغيرها كما قال الله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ (سورة النساء: ١٠٣)

من المعلوم أن إضاعة شيء أمر منكر وقبيح جدا ولكن فوق ذلك المنكر أن يضيع الانسان وقته الثمين، لأن الوقت هو النعمة العظمى التى أعطاها الله سبحانه الانسان من نعمه الثمينة، فلذلك نعمة الوقت هى الأعلى والأنفس والأثمن من كثير من النعم، كما يقول الوزير الصالح بن هبيرة ؒ

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

والوقت هو الشئ الذى يشبه روح الانسان إلى حد لأنه كما يمنح الانسان الروح فى حياته مرة واحدة فقط وهي لا تعود أبدا اذا فاضت، كذلك يمنح الأيام والساعات التي تأتى في حياة الانسان وهي لا تأتي إليه الا مرة واحدة فى حياته ثم إذا مضت لن ترجع اليه أبدا، فمن ضيع هذه الفرص الذهبية المتاحة فلن يستطيع أن يستدركها بعد انقراضها أبدا.

دل الإسلام الإنسان على أهمية الوقت وقدره لارتقاء الحياة الانسانية فى كل مجال، لذا نجد القرآن ينبهنا ويذكرنا بأهميته فى حياتنا بأساليب مختلفة فى مواضع شتى، فقال

جل وعلا: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ (سورة الدهر:١) وقال عز وجل: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ (سورة يونس: ٥–٦)

وقد أقسم الله تعالى بالزمن فى مختلف أطواره فى كتابه الكريم فى آيات عديدة إشعارا منه بقيمة الزمن وتنبيها إلى أهميته فأقسم جل شأنه بالليل والنهار والصبح والفجر والشفق والضحى والعصر فمن ذلك قوله تعالى: ﴿والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى﴾ (سورة الليل: ١–٢) وقوله تعالى: ﴿والفجر وليال عشر﴾ (سورة الفجر: ١–٢) وقوله تعالى: ﴿والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس﴾ (سورة التكوير ١٧–١٨) وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق﴾ (سورة الانشقاق ١٦–١٧) وقوله تعالى: ﴿والعصر ان الانسان لفى خسر﴾ (سورة العصر ١–٢) وقوله تعالى: ﴿والضحى والليل اذا سجى﴾ (سورة الضحى: ١–٢)

وأما السنة المطهرة فبيان أهمية الوقت فيها أصرح وأوضح وأظهر من الشمس ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

وقد وضح النبى ﷺ أهمية الوقت توضيحا بليغا ووعظنا فى الاهتمام به واغتنامه قبل انقضاء ه، فقد روى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك". (خرجه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير: ١٠٧٧ وصححه) فى هذا الحديث موعظة بليغة ونصيحة غالية ووصية عظيمة وحكمة بالغة من رسول عظيم يحث أمته على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.

وقد قال الشاعر ناصحا لنا:

تــزود من التقــى فإنـك لا تـــدرى   اذا جن ليـل هـل تعيش الى الفجر
فكم مــن صحيــح مات من غير ملة   وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم   وقد ادخلت أجســادهم ظلمـة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح ضاحكا   وقد نسـجت أكفانـــه وهو لا يدرى
وكـم مـن عروس زينـوهـا لزوجها   وقد قبضت أرواحـهـــم ليلـة القدر

وإذا تأملنا فى حياة سلفنا الصالح وجدناهم أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، فكانوا يسابقون الساعات ويبادرون اللحظات ضنا منهم بالوقت وحرصا على أن لا يذهب الوقت منهم سدى، لأنه كان للوقت عندهم قيمة فحفظهم للوقت واستفادتهم منه حقا هو الذى رفعهم الى السماء، فصاروا سلفا للخلف وأسوة لمن جاء بعدهم، ومن أظهر الأمثلة على ذلك العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى رحمه الله، فكان العلامة أكثر الناس استفادة من وقته، ولذا استطاع أن يخدم السنة والسيرة أكثر من غيره، فليهتد كل أناس ويحرص على حفظه للوقت والزمن مثل العلامة ويستغله فيما يهمه ويعود عليه بالنفع، فقد قال لنا الشاعر:

نسيــر إلى الآجــال فى كل لحظة   وأيامنـــا تطــوى وهن مراحل
ولم أر مثــل المـوت حقــا كأنــه   اذا مــا تخطتــه الأمــانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا   فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحــل من الدنيا بزاد من التقى   فـعـمــرك أيـــام وهــن قـلائــل

☆☆☆

من أخبار الجامعة

تمثيل وفد الجامعة السلفية في مؤتمر رابطة المدارس الإسلامية بديوبند:

عقدت رابطة المدارس الإسلامية بدار العلوم ديوبند مؤتمرا إقليميا في يوم الاثنين ١٧ / صفر ١٤٢٩ هـ = ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٨ م حول موضوع "مكافحة الإرهاب" وقد قامت الرابطة بتوجيه دعوة إلى جميع المدارس والمنظمات والجمعيات الإسلامية في الهند.

وتلبية لدعوة مسؤولي المؤتمر شارك فيه وفد من الجامعة السلفية مكون من كل من فضيلة الشيخ عبد الوهاب الحجازى، عضو هيئة التدريس بالجامعة ومدير مجلة محدث الشهرية الأردية، وفضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، عضو هيئة التدريس بالجامعة ونائب شيخ الجامعة.

وقد ندد المؤتمر بجميع أعمال العنف والإرهاب ووضح موقف الإسلام من هذه الأعمال البشعة، كما أبدى المؤتمر عن قلقه البالغ عن موقف آليات الحكومة تجاه شباب المسلمين وعلمائهم، حيث إنها توجه إليهم التهم بالتورط فى عمليات الارهاب وتلقى القبض عليهم من دون شهادات كافية واضحة وتعامل معهم معاملة قاسية.

الاجتماع العشرون لهيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند فى كولكاته:

عقدت هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند اجتماعها العشرين فى كولكاته عاصمة ولاية بنغال الغربية فى ٢١، ٢٢، ٢٣/ صفر ١٤٢٩ هـ = ٢٩ / فبراير و ٢،١ / مارس ٢٠٠٨م . وبدعوة من مسؤولي الهيئة تشرف كاتب هذه السطور بالمشاركة فى الاجتماع.

يجدر بالذكر أن الهيئة قد أنشئت عام ١٩٧٣ م مع مشاركة جميع الطوائف الإسلامية الهندية بهدف الدفاع عن حقوق المسلمين وأحوالهم الشخصية وتوعية المسلمين بمسؤولياتهم نحو الدين والشريعة. ومنذ إنشاءها تعقد الهيئة بعد كل سنة أو سنتين إجتماعاتها فى مدن الهند، وتبحث عن الموضوعات المستجدة المتعلقة بما يخص دائرتها.

وقد قدمت اللجان المختلفة تقاريرها فى هذا الاجتماع، كما ناقش الاجتماع موضوع التسجيل الاجبارى لعقد النكاح، وموضوع تدريب القضاة، وموضوع إصلاح المجتمع، وموضوع قضية المسجد البابري، وموضوع القضايا المقدمة فى المحاكم المختلفة مما يتعلق بالأحوال الشخصية الخ.

☆☆ **(أسعد أعظمي)**

المجلة تهدف إلى

☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.

☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عدد صفحات الجزء: ٦٠